سلسلة شروح فضيلة الشيخ

المعتزلة

وأصولهم الخمسة

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

حفظه الله ورعاه

خدمة دروس الشيخ

ملحوظة: الشيخ لم يطلع على التفريغ

لأي ملاحظة يرجى مراسلتنا على

للاستفسار

الرجال : +965 50110130 www.DRABOSALAHM.com
النساء : +965 96537184 @DrAboSalahM

خدمة دروس الشيخ

المعتزلة وأصولهم الخمسة

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلام والسنة، نحمده سبحانه أن جعلنا من خير أمة، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المعبود بحق من أهل الملة، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، المبعوث بالرحمة بشيرًا ونذيرا بين يدي الساعة، صلىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وصحبه الذين ساروا علىٰ دربه، واقتفوا أثره، وعلىٰ من اتبعهم بإحسان إلىٰ يوم القيامة.

أما بعد:

فنحمد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ أن يسر لنا ولكم هذا اللقاء المبارك، في هذا المكان الذي أسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجعله مباركًا وإيانا وإياكم.

وإنه لمن دواعي سروري وغبطتي أن أكون بين يدي مشايخ فضلاء، وأئمة وخطباء، ومؤذنين في المساجد يرفعون النداء، ويدعون إلىٰ الله عز وجل بأقوالهم، وأفعالهم، وأخلاقهم.

فهذه المحاضرة هي في واقع الأمر ليست محاضرات، وإنما سميتها مدارسات في دراسة ما يتعلق بالمعتزلة وأصولهم الخمسة.

فهذه المدارسات التي تكون بيننا إن شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، حتىٰ لا يكون حديثنا مشتت، ولا يكون كلامنا ذو شجون مفرق، فنأخذ من هاهنا وهاهنا فإني جعلت لهذه المحاضرات مطالب علىٰ النحو الآتي: نتدارس وإياكم خلال أربعة أيام إن شاء الله في هذه المطالب:

أولًا: التمهيد، وفيه بيان مصادر العقيدة.

وثانيًا: المطلب الأول في التعريف بالمعتزلة، وجعلت فيه أربعة مسائل.

والمطلب الثاني في الأصول الخمسة للمعتزلة، وجعلت هذا المطلب في مسائل:

المسألة الأولىٰ: في التوحيد، هذه إن شاء الله نتدارسها معكم اليوم، وما يتبقىٰ من المطالب والمسائل غدًا.

وبعد غد إن شاء الله نتحدث عن المسألة الثانية من أصولهم: وهي العدل.

والمسألة الثالثة من أصولهم: المنزلة بين المنزلتين.

والمسألة الرابعة من أصولهم: إنفاذ الوعيد.

ثم الطلب الثالث: دراسة أصلهم الخامس: وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم المطلب الرابع: علاقة المعتزلة بالخوارج.

المطلب الخامس: أثر المعتزلة علىٰ بعض الفرق والجماعات المعاصرة.

هذه بعض الخطوات، أو نستطيع أن نسميها: الطرق التي سنسلكها إن شاء الله في مدارستنا لما يتعلق بالمعتزلة.

لكن قبل أن نتكلم في المعتزلة، وأنتم مشايخ فضلاء نستفيد منكم إن شاء الله، نريد أن نسأل أنفسنا سؤالًا، من أين كان النبي الكريم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه يستقون مسائل الاعتقاد؟

لماذا أسأل هذه السؤال مع علمي وتيقني أنه لا يختلف اثنان، ولا ينتطح كبشان علىٰ هذه المسألة؟ وهي أن العقيدة مأخذها الكتاب والسنة؛ لأني أريد أن نطلق من هذه القاعدة حتىٰ لا ننسىٰ إلىٰ نهاية المحاضرة، فمأخذ الاعتقاد لا نسأل من أين نأخذ الاعتقاد؟ لأننا قد نختلف، ولكن أعيد السؤال وأكرر، من أين كان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه يأخذون الاعتقاد؟

فلو سألنا أي إنسان، ولو كان عاميًا، هل كان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأخذ مسائل الاعتقاد بالاجتهاد، بالقياس، بالرأي، أنتم مشايخ ودرستم في أصول الفقه اختلف الأصوليون: هل النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجتهد أو لا يجتهد؟ صحيح ولا لا؟

إذا كان الأصوليون قد اختلفوا في اجتهاد النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسائل العملية، في مسائل الفقه، فهل نختلف نحن وإياكم، أو مسلم وأخر علىٰ أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأخذ عقيدته بالاجتهاد، أو بالعقل مع رجاحة عقله -صلوات ربي وسلامه عليه-، والله لو جمع عقل الثقلين الإنس والجن لما كان عند عقله شيئا، ولا لا؟

ومع ذلك كان الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المبدأ والمنهج الذي أسسه لأصحابه أنه يُسئل عن مسائل في الاعتقاد، لو سُئلنا نحن اليوم، وقد سُئلنا كثيرًا، ما ماهية الروح؟

يعني: لو أن أي طالب علم يُسئل عن هذا السؤال ينظر إذا كان منهجه الكتاب والسنة مباشرة يقول: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]، هل سيخوض، ولا لن يخوض؟ لكن ما رأيكم أن هناك الأقوال في ماهية الروح من المنتسبين إلىٰ الإسلام بلغت المئات، ما هو السبب؟ الترف العلمي، أو خطأ في المنهج.

إخواني أئمة المساجد، خطباء المنابر، مؤذنو بيوت الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ! هذه المسألة يجب أن ندندن حولها كثيرا، من أين كان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه يستقون الاعتقاد؟

والله لا أظن أن اثنين سيختلف علىٰ هذه المسألة أبدًا، فنحن نعلم علم اليقين، فنحن نقول: إن هذه المسألة من المسائل التي هي مقررة ألف بائية كما يقولون، لكن مع الأسف الشديد أننا في خلال قراءتنا لاعتقادات الناس ٠٧:٢٠ إلىٰ ٠٨:٠٢ قطع في الصوت

فنكرر ونقول هل النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استخدم عقله في مسائل الاعتقاد فأفتىٰ؟ الجواب: كلنا سنقول: لا، إنما كان ينتظر الوحي.

هل الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم استخدموا عقولهم في الاعتقاد؟ لابد أن ندرك أن أسباب الاختلاف الذي وقع في الأمة في مسائل الاعتقاد غير عن أسباب الاختلاف الواردة في مسائل الفقه، وأظنكم قد قرأتم، وتمعنتم، أو درَّستم، أو وصل إلىٰ أسماعكم كتاب رفع المنام عن أئمة الأعلام، صحيح؟

فنحن نعرف أن العلماء رَحِمَهُم اللهُ من الصحابة ومن بعدهم، وإلىٰ زماننا هذا، يقع بينهم ما يقع في مسائل الفقه؛ لأن أسباب الاختلاف في الفقه متنوعة متعددة، لكن إذا سألنا

أنفسنا، ما هي أسباب الاختلاف في الاعتقاد، كيف وجدت المعتزلة؟ لماذا وجدت المعتزلة، لماذا وجدت الفرق؟

هذا سؤال مهم، هل لأن بيانه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن كاملًا، من يجرئ يقول: لم يكن كاملًا حاشا والله، هل لأنه عليه الصلاة والسلام ترك بعض المسائل وأخفاها كما يقوله من يقوله؟ ما يمكن، ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]، فنحن ندرك أن مسائل الاعتقاد أسباب الاختلاف فيها مرجعها كما يقول العلماء إلىٰ ثلاثة أصول، انتبهوا لهذه المسائل.

أسباب الاختلاف يا إخواني! في الاعتقاد كثيرة، لكن مرجعها إلىٰ هذه الأصول الثلاثة:

الأصل الأول: أناس ظنوا أنهم رجال، وأشاروا إلىٰ أنفسهم بأنهم رجال، واغتروا بالذكورية وظنوها وصفًا للرجولية، فقالوا: الصحابة رجال، ونحن رجال فنفهم القرآن بفهومنا، والسنة نعرضها علىٰ الكتاب فإن وافق فبها ونعمت وإلا ردها.

هذا أول منشأ من أسباب الاختلاف في الاعتقاد: عدم الاعتداد بفهم السلف الصالح في الكتاب، وفي السنة، ففهم الخوارج من نصوص الكتاب والسنة مالم يفهمه الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم، وهذه والله رزية عظيمة.

وأنتم تعلمون يا رعاكم الله! أنهم أناس عاصروا التنزيه، ومعلمهم من؟ الله أكبر، إذا كان معلمهم سيد البشر صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهل يظن عاقل أنه يمكنه أن يأتي بخير منهم، أو بخير من فهمهم!

فهم كما قال ابن مسعود: عن علم وقفوا، إذا رأيتهم لم يخوضوا في بعض المسائل فذلك لعلمهم.

فأول سبب من أسباب الخلاف: عدم الالتفات إلىٰ ما قاله الصحابة -رضوان الله عليهم- في مسائل الاعتقاد.

يأتي إنسان بما عنده من لغة، وربما يكون مغتر بها إلىٰ بعض الآيات في الكتاب وفي السنة فيؤولها يُحرِّفها، يفهم منها ما لم يفهمه السلف، لا يمررها كما مروها، ولا يفهمها كما فهموها، ولا يفسرها كما فسروها، هم فسروا هذه الآيات.

ولذلك -أيها الإخوة- هذا السبب للخلاف: عدم الاعتداد بفهم سلف الأمة في الاعتقاد، سبب رئيس لوجود جميع الفرق، سواء ابن سبأ وأتباعه، أو عبد الله بن وهب الراسبي وأتباعه أو غيرهم.

ثم السبب الثاني: تقديم العقل علىٰ النقل، وهذا السبب طغىٰ، لا سيما في الخلافة العباسية من أيام المأمون، ثم المعتصم، فأصبح العقل كأنه سيد علىٰ الكتاب والسنة.

أذكر أني مرة من المرات، ذكرت لرجل يدرس الفلسفة، دكتوراه في الفلسفة فقلت له: لو أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان حيًا، هل ستقول له: يا رسول الله أنا لا أفهم الذي فهمت، حتىٰ أنظر ماذا قال أساطيل أهل الكلام أرسطو وأفلاطون وغيرهم؟

هذه مصيبة عظيمة، أن نجعل الكتاب والسنة محكومين لا حاكمين، وهذه والله واقعة من كثير من المنتسبين للإسلام، بلسان الحال إن لم يكن بلسان المقام.

وما دمنا ندرس عن المعتزلة فتأملوا معي أن أصول المعتزلة الخمسة: التوحيد، والعدل، أول أصل عندهم: التوحيد، والأصل الثاني: العدل، يقولون: إن التوحيد، وهو إثبات وجود الله عَزَّ وَجَلَّ والإيمان به، والعدل، اعتقاد ما يجب لله وما لا يجب، وما يجوز عليه، وما لا يجوز.

يقولون: إن أول الاصلين عقليين، يعني لا يرجعون فيه إلىٰ الكتاب والسنة، وهذا موجود، تقرأ في كتاب كامل في الاعتقاد، قالوا وقلنا، فإن قالوا قلنا، فإن قالوا كذا قلنا كذا، ما تجد آية تمر علىٰ صفحة صفحتين ثلاث أربعة خمس لا تجد آية في الصفحة السادسة إن وجدت آية تجد معها تأويل، هذا سبب عظيم.

ولما نظر قوم وهذا هو الصنف الثالث: نظر قوم إلىٰ طريقة أولئك الذين قالوا: نحن رجال وهم رجال، ففهموا من النصوص ما لم يفهمه السلف، ما لم يفهمه الصحابة،

فوجدوا أن هناك تعارض، ثم نظروا إلىٰ أساطين العقل، أساطين علماء الكلام، ووجدوا أن ما يوجبه هذا يجعله الأخر مستحيلًا، وما يجعله الأخر مستحيلًا يجعله الثالث جائزًا، وهكذا.

فنظر فقال بالنص: إذا لم تستطع أن تعرف الحق من خلال النصوص؛ لأنها متعارضة، هكذا يقولون، لأنها متعارضة أو من خلال القياسات العقلية؛ لأنها متناقضة، فليس لك ثم طريق لمعرفة الاعتقاد الصحيح إلا الذوق السليم -سبحان ربي-.

نحن نسأل هؤلاء من الذي خلق العقل؟ الله، من الذي أوجد الذوق والحس في القلب؟ الله، فكيف يتصور عاقل مهما أوتي من العقل أو ذو حس مهما كان رهف حسه، كيف يتصور أن ثَّمَّ تعارضًا بين المنزل من السماء، كلام الله عَزَّ وَجَلَّ شرعه ودينه، وبين مخلوق الله عَزَّ وَجَلَّ؟ لا يمكن.

ولذلك يقول العلماء: ليس ثمة عارض بين النقل والعقل، النقل فيما بينه ما يمكن يكون تعارض، إنما التعارض ينشأ في أذهاننا، وسبب ذلك قصور فهومنا أو قلة علومنا، ما في سبب أخر، إما قصور الفهم، وإما قلة العلم.

وأما الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم، فإنا إذا نظرنا إلىٰ ما نشأ عندهم من التعارض أن الله عَزَّ وَجَلَّ لما أنزل القرآن ذكر لنا لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه ماذا؟ الصحابة لما كانت فهومهم سليمة، وعلومهم في اللغة وفيرة وكثيرة، لم يجدوا اختلافًا فيما بين القرآن إلا في آيات معدودة تُعد علىٰ رؤوس الأصابع من ستة آلاف آية، شوفوا كيف!

هل من خلال قراءتك للبخاري ومسلم وأبو داود دواوين الإسلام، هل تجد أن الصحابة أشكلت عليهم أنه في آية تعارض بين هذه وهذه؟ ما تجد هذا، إنما وجد التعارض بعد في زمن التابعين، وليس عند تلامذة التابعين، وإنما عند من أعرض.

فجاء من عند الخوارج رسالة إلىٰ ابن عباس يقول له: إنا نجد في كتاب الله كيت وكيت، ويقول في موضع كذا وكذا فكيف الجمع بينهما؟

المسلم المؤمن الحق، يعلم علمًا يقين أن هذا القرآن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ فلا يمكن بين كلام الله تناقض، والوحي، والسنة وحي ولا ما هو وحي؟ وحي: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ٤-٥]، القرآن وحي؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينطق عن الهوىٰ.

وقد قال لعبد الله بن عمرو بن العاص قال: "أكتب فو الذي نفسي بيده لا يخرج من هذا- وأشار إلىٰ لسانه إلا ماذا؟- حقا"، شوفوا كيف ما في تعارض بين القرآن والسنة.

بناء علىٰ هذا نقول: لا يوجد تعارض بين النقل وبين العقل، لكن بشرط العقل الصحيح والصريح، لذلك لما يأتي إنسان ويزعم التعارض، نقول: التعارض ليس بسبب الواقع، وإنما شيء راجع إلىٰ المُدّعي، شيء راجع إلىٰ المُدّعي ليس واقعًا؛ ولذلك يطالب المدعي بتصحيح دعواه.

وأنا سأضرب لكم مثالًا: تعرفون أن إنسان إذا أصيب بالعور حفظ الله لنا ولكم أسماعنا وأبصارنا وقواتنا، لو أصيب بالعور، سيراك وأنت تمشي معوج أليس كذلك، لكن في الواقع أنت تمشي مستقيم ولا معوج؟

أما هؤلاء فتلوثت عقولهم بمنطق اليونان، وفلسفة الهند، وبقيه زبالات الأديان؛ فلذلك أصبحت عقولهم ترىٰ النصوص معوجة، هنا المشكلة، المشكلة ليست في النصوص، لذلك نحن نطالبهم نقول لهم: لماذا لا ترجعون معنا إلىٰ الصحابة رضوان الله عليهم؟

فهذه مسألة عظيمة -أيها الإخوة- لا يمكن أن يكون هناك تعارض بين نقل صحيح وعقل صريح، ولا بين نقل صحيح وذوق سليم أبدا، ما يجده الإنسان من الذوق، أو ما يجده الإنسان مما يدعيه ويسميه كشفًا أو وجدًا.

كما قال الجنيد وغيره قال: إن علمنا هذا -يعني: علم الذوق- إن علمنا هذا مقيد بشاهدي عدل الكتاب والسنة، إذا لم يكن علىٰ ذوقك ووجدك وكشفك، وما تجده في قلبك إذا لم يكن عليه دليل، فما الذي أنت تعتقد أن هذا من الله، كيف تعتقد أن هذا من الله، وهو يخالف المنزل من الله عَزَّ وَجَلَّ.

فأساس ضلال الفرق -أيها الإخوة-! اعتداد بالفهم تقديم العقل علىٰ النقل، تقديم الذوق علىٰ النقل، أساس الضلال الفقه، وهذا واقع، ولو فتشتم ما فتشتم لوجدتم أنه ما من فرقة إلا وسبب ضلالها أحد هذه الثلاثة أو هي مختلطة أو متقاربه من بعضها البعض.

مداخلة: إلا الناجية.

الشيخ: أحسنت إلا الناجية، هذا استدراك عظيم، لكن لماذا لم نذكر الناجية؟ لأنها علىٰ الأصل، نحن نتكلم عن الفرق التي تفرقت، هنا كلام -يعني- مسألة مهمة، أهل السنة يُلقبون بأي شيء؟ أهل السنة ماذا؟ والجماعة، لماذا لا يلقبون أهل السنة يلقبون بأهل السنة والجماعة، وغيرهم بأهل الفرقة؟

هذا سؤال مهم؛ لأنهم هم أصل جسد الإسلام، فجاء أصحاب الذوق فقطّعوهم من جهة، جاء أصحاب العقل فقطّعوهم من جهة، جاء أصحاب الفهوم العقلية وقطّعوهم من جهة، هم بقوا علىٰ أصلهم لكن الناس فرقوهم وجزئوهم.

ولذلك من معاني الجماعة الأصل، كما قاله بعض السلف، وإن كان من معاني الجماعة كما جاء عن بعض السلف معناه جماعة المسلمين، معناه إمام المسلمين كما جاء في بعض الروايات، لذلك تسمية أهل السنة بالفرقة هذه جائزة كما قال الشيخ بشرط تقييده بالفرقة الناجية، أو الطائفة المنصورة هذا جائز، أما أن نسمي أهل السنة بالفرقة فقط فهذا فيه نظر.

ننتقل إلىٰ جزئية أخرىٰ مهمة وهي جزئية التعريف بالمعتزلة من الناحية اللغوية، لعل كثيرًا منكم أعلم مني باللغة، كما تعلمون كلمة المعتزلة اسم فاعل من اعتزل يعتزل معتزل فهو معتزل، و(التاء) فيه إما للتأنيث لأنهم فرقة فتسمىٰ معتزلة، وهذا هو الصواب.

ويقول صاحب لسان العرب الأفريقي رَحِمَهُ اللهُ يقول: عزل الشيء يعزله عزلًا، وعزَّله فاعتزل وانعزل.

وتعزَّل قال: معناه: نحَّاه جانبًا فتنحىٰ، ثم أورد دليلًا علىٰ ذلك من القرآن، قال: قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۝٢١٢﴾ [الشعراء: ٢١٢]، والمعنىٰ: أنهم لما رموا بالنجوم منعوا من السمع.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ۝٢١﴾ [الدخان: ٢١]، أراد إن لم تؤمنوا بي فلا تكونوا علي ولا معي يخاطب قومه، قال: وتعازل القوم، انعزل بعضهم عن بعض، يعني: تمايزوا.

قال: والعزلة انعزال نفسه، ثم قال: واعتزلت القوم أي فارقتهم، وتنحيت عنهم، ثم قال في الأخير: وقوم من القدرية يلقبون المعتزلة، زعموا أنهم اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم، يعنون أهل السنة والجماعة، والخوارج الذي يستعرضون الناس قتلىٰ.

إذًا: من الناحية اللغوية الاعتزال معناه: التنحي إلىٰ جانب.

ومن المعنىٰ اللغوي: نحن ندرك أن الفرقة الاعتزالية هي فرقة تفرقت عن الجماعة، هي التي أنشأت الفرقة.

يأتي بعض الناس اليوم يقول: لماذا لا نجتمع؟ نحن علىٰ الأصل، الذي يريد الاجتماع يأتي إلىٰ الأصل، لا يمكن نحن أن نترك الأصل ونذهب إليهم، الأصل الكتاب والسنة وفق فهم السلف كما تقرر قبل، وهو متقرر عندك؛ لأنه لا يمكن لإنسان أن يقول: إن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقرر مسائل الاعتقاد بحسب العبارات المنطقية، والمقدمات والنتائج، لا يمكن لإنسان أن يقول: إن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقدم ذلك بحسب الذوق والوجد، فلم يبقىٰ إلا أننا نحن علىٰ الأصل، وهم اعتزلوا وتنحوا جانبًا.

ثم ذكر: أن قتادة بن دعامة السدوسي المفسر المشهور راوية أنس، مر بعمر بن عبيد بن باب وهو جالس في مسجد في طرف الكوفة، معتزل حلقة الحسن البصري فقال قتادة له: ما هذه المعتزلة؟ فسموا من يومهما بالمعتزلة، لقبوهم بالمعتزلة.

إذًا: اعتزل افتعال اعتزل يعتزل، اعتزل افتعل، فاسم الفاعل منه معتزل، ثم أصبح علمًا علىٰ طائفة من الناس، هذا من حيث الاشتقاق اللغوي أنهم اعتزلوا، فهم الذين خالفوا وتفرقوا.

يقول جولد سهر المستشرق المعروف، وغيره من المستشرقين: أن المعتزلة إنما سموا معتزلة لاعتزالهم الفتنة، وهذا والذي لا إله إلا هو تلبيس للحق بالباطل، وتلبيس الباطل بالحق، فإنهم يريدون أن يقولوا كما يقوله المسعودي من المعتزلة، وكما يقوله ابن أبي الحديد من المعتزلة، يريدوا أن ينسبوا أنفسهم إلىٰ الذين تركوا الفتنة التي وقعت بين الصحابة واعتزلوا، وهذا من الناحية التاريخية ليس بصحيح؛ لأنه لم يأتي أحد ويسمي أولئك بالمعتزلة، وإنما قالوا: واعتزل الفتنة فلان وفلان، وأما الذي قال عن عمرو بن عبيد وأصحابه بالمعتزلة فهو قتادة بن دعامة السدوسي.

وجاء أيضًا وهذه الرواية لا تناقض الرواية الأخرىٰ، وجاء أيضًا أن واصل بن عطاء الغزّال بتشديد الزاي نسبة إلىٰ الغزل، وليس الغزال، وحتىٰ أبو حامد لا يقال له الغزالي، وإنما يقال له: أبو حامد الغزّالي؛ نسبة إلىٰ الغزل، نعم إلىٰ المهنة، نسبة إلىٰ المهنة فهذا قياسه، لكن إذا سمع بالتخفيف، فإن كان مسموعًا فهو مقبول، وإلا فالأصل أن الأسماء إما أن تكون قياسية، وإما أن تكون سماعية كما هو معلوم لديكم.

فيقول: إن واصل بن عطاء الغزّال كان في مجلس الحسن البصري فدخل عليه رجل، فقال له: إن الخوارج يقولون، أو قال: الأزارقة أو نحوهم إنهم يقولون: إن من فعل الكبيرة كفر، والمرجئة يقولون: إن صاحب الكبيرة كأتقىٰ إنسان علىٰ وجه الأرض فما تقول؟

قال: فأطرق الحسن البصري رأسه يتأمل للرد علىٰ هذا الرجل، وإذا بواصل ينبري له، ويقول: أنا أقوال -تأمل كلمة أنا أقول- فلا ينسب قوله إلىٰ من سلف، وإنما تجرأ بعقله فقدَّم رأيه الخلفي علىٰ رأي من سلف.

فقال أنا أقول: إنه في منزلة بين المنزلتين: لا هو مؤمن، ولا هو كافر، فسمُّوا بالمعتزلة؛ لأن الحسن البصري قال له: قم، واعتزل مجلسنا هذا، فذهب إلىٰ مجلس عمرو بن عبيد، والتقيا وكانا رفيقين، فكانت هذه نواة نشأت المعتزلة.

أما المعتزلة من حيث التعريف الاصطلاحي فإن علماء الفرق اختلفوا فيما بينهم، بما فيهم المعتزلة أنفسهم، فاختلفوا في تعريفهم لأنفسهم.

فصاحب الفَرق بين الفِرق، عبد القاهر البغدادي يقول: المعتزلة هم الذين اعتزلوا الحق، طيب هذا الوصف ينطبق علىٰ كل مخالف للحق، وليس خاص بالمعتزلة، ولذلك قوله: المعتزلة عن الحق، يعني اعتزلوا الحق، هذا الوصف كما تسمعون منطبق علىٰ كل من جانب الصواب.

ولذلك من قال بالبدعة والهوىٰ فهو يدخل تحت هذا التعريف؛ لذا قال بعض العلماء إن هذا الوصف غير دقيق، وإنما الصواب أن المعتزلة: هم كل من وافق واصل ووافق عمرو علىٰ أصل بدعتهما.

ما هو أصل بدعتهما؟

عمرو بن عبيد أصل بدعته أنه أنكر القدر، وواصل بن عطاء أصل بدعته أنه أنكر أن يكون الفاسق الملي مسلمًا مؤمنًا، وفي الآخرة يُلحقه بالكافرين، فأصل نشأت الاعتزال علىٰ هاتين الفكرتين، فكرة نفي تقدير الله عَزَّ وَجَلَّ للأشياء نفي القدر، وفكرة أن المسلم الفاسق الملي مؤمن ناقص الإيمان، أنه ليس من أهل الإيمان، ولا هو من أهل الكفر في الدنيا إنما هو في منزلة بين المنزلتين، وفي الآخرة قالوا: إنه يُلحق بالكافرين، هذا أصل نشأت فرقة المعتزلي، ذلك الذي مال إليه جمع من أهل العلم: أن المعتزلة ليس هناك ضابط يجمعهم.

ولذلك لو لاحظنا نجد أن المسعودي -وهو ينتسب إليهم- يقول: إنهم سُموا معتزلة لماذا؟ يقول: لأنهم عزلوا مرتكب الكبيرة عن اسم الإيمان والكفر، وهذا وقف أدق، ذكره المسعودي في مروج الذهب، وهذا وصف أدق.

وأما تسمية (جولد سير، وأحمد أمين)؛ فكما ذكرت لكم أنهم يقولون: إنما المعتزلة قوم يعتزلون الفتن، فهذا وصف غير دقيق؛ لأن الصحابة -رضوان الله عليهم- ومن بعدهم ممن اعتزلوا الفتن هم يصح عليهم هذا اللقب من ناحية اللغة، ولكن لا يصح عليهم هذا اللقب من حيث الاصطلاح.

وفي تهذيب اللغة للأزهري رَحِمَهُ اللهُ، قال الأزهري رَحِمَهُ اللهُ في كتابه تهذيب اللغة قال: المعتزلة هم الذين اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم، يعنون أهل السنة والجماعة والخوارج، هذا التعريف كما ترون إنما هو وصف يصح في وقت كانت الفرق الإسلامية الظاهرة فرقة أهل السنة والجماعة وفرقة الخوارج، لم يكن التشيع معروفًا بصورته الحالية، ولا الرفض ظاهرًا بفرقه الحالية فلا يصح هذا التعريف الآن.

وأما المعتزلة أنفسهم فإنهم يلقبون أنفسهم بالموحدين، وهذا سيأتي سببهم لهذه التسمية، ويسمون أنفسهم بأهل العدل، -انتبهوا- أسماء رنانة جميلة تذب الناس.

ومن العجائب والعجائب جمة: أني في الحج رأيت حملة من الحملات، عنوان هذه الحملة واسم هذه الحملة حملة التوحيد، وإذا هم معتزلة، فأهل الاعتزال يلقبون أنفسهم بهذه الألقاب، فيسمون أنفسهم بمثل هذه الأسماء.

مما يهمني الآن أن نعرف أساطين المعتزلة من هم؟ نريد أن نعرف من هم أساطين المعتزلة الذين نشروا المذهب المعتزلي؟

أنا لا أخفيكم سرًا، لعل هذا عندكم من البديهيات، أن عقيدة الاعتزال قبل وجود الاحتلال الإنجليزي والغربي للعالم الإسلامي لم يكن معروفًا إلىٰ في بطون الكتب، فكان العالم الإسلامي في غيبة عن عقيدة الاعتزال.

لكن الغربيين والمستشرقين لا سيما جامعة سربون، وجامعات لندن، أصبحت نشيطة في إحياء تراث المعتزلة، فأخرجوا كتاب القاضي عبد الجبار المعتزلي الأصول الخمسة عند المعتزلة، أخرجوا هذا الكتاب، وأخرجوا كتب أخرىٰ، وبعض المتأثرين بالفكر الغربي أصبحوا يتلقفون هذه الكتب التي يسمونها بالعقليات، وليس عندهم علم

بالنقليات، فيتسببون في مصائب عند المسلمين كما نحن اليوم نسمع الكثير في الجرائد في المجلات في الإذاعات في التلفزيونات.

ماذا ننتظر إذا كان الشخص يشار إليه بالبنان بأنه عالم وأنه كذا وأنه كذا، ويذهب ويقول لليهود أنتم يا إخواني علىٰ الحق، لكن تستروا علىٰ أنفسكم، وحسنوا صورتكم أمام المسلمين، نسأل الله السلامة والعافية.

إلىٰ أي حد وصل بنا! يعني أننا نعظم العقول فلا نقول للمخالف، يا أخي هو يقول عن نفسه يهودي، أنت تستطيع أن ترفع عنه الاسم! إنسان يقول عن نفسه يهودي، يقول عن نفسه نصراني، أنت ما تستطيع تقول عنه يهودي نصراني، ما هذه الانهزامية؟! بأن لا يجمعنا ما يسمىٰ العقل التحرر، أو العقل التنويري، هذا الفكر من أين جاءنا؟!

هذا ما جاءنا من فراغ، جاءنا من إحياء الاحتلال لكتب هؤلاء القوم، لذلك لابد أن نعرف أساطين المعتزلة؛ لأن -أيها الإخوة- أساطينهم أقوالهم مشهورة، وعقائدهم في كتبهم مسطورة، لذلك لابد أن نعرفهم، من أشهرهم كما ذكرت لكم، عمرو بن عبيد بن باب، وأصله والٍ من الموالي.

ولذلك يقول الإمام ابن الأعرابي رَحِمَهُ اللهُ، يقول: إن هؤلاء من العجمة أتوا.

لأن من يدخل في الكتاب والسنة بعقله فهو يُغلب؛ لأن القرآن غالب في اللغة والسنة كلام أفصح الخلق صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلذلك سيُغلب بعجمته، ما لم يتنور بكلام الراسخين في العلم من الصحابة والتابعين سيغلب، وأيضًا واصل بن عطاء الغّزال وكان أيضًا مولىٰ من الموالي.

ولذلك أنا من خلال رسالتي في الدكتوراه، تقريرات أئمة الدعوة في مخالفة مذهب الخوارج وإبطاله تبين لي أمر غريب، وأنا استقرئ كتب الفرق، وجدت أن مؤسسي الفرق المنحرفة، وجدت أن مؤسسي الفرق كلهم أعاجم، ولما صنفتهم جمعتهم ونظرت في سيرهم، وجدتم أحد رجلين:

إما رجل حسن النية، لكنه عديم العلم في اللغات، فلذلك أتىٰ بالعجائب والغرائب، وإما أنه رجل سيء النية نوىٰ الزندقة؛ لأن ما الفرق بين النفاق والزندقة -يا إخواني-! يعني العلماء يقولون: إن من الفروقات الجليلة بين النفاق والزندقة، أن المنافق يظهر الإسلام ويبطن الكفر خوفًا علىٰ نفسه وعرضه وماله، فقط يريد السلامة الدنيوية.

طيب والزنديق قالوا: لا، إذا قيل: هؤلاء من الزنادقة المقصود أنهم يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، ويريدون هدم الإسلام، فهم يعملون باسم الإسلام لهدمه، يعني: إذا صح التعبير مخابرات (CIA) لا تزعلوا هذا صحيح، الليل والنهار يشتغلون، ويعملون كيف يولعون بين الأمة الإسلامية، كيف ينشؤون، كيف يتسببون في الدخول إلىٰ بلاد الإسلام كيف وكيف، هذا موجود زندقة موجودة، كان قديم وحاضر موجود.

أيضًا من أساطين هؤلاء -أيها الإخوة-! الكعبي وهو مشهور، كذلك ممن يسميهم المستشرقين بالمحققين، وإذا نظرت إليهم تجدهم محككين في النقول، وليسوا محققين حتىٰ في المعقول، هذا الوصف الدقيق الذي ينطبق عليهم، فهم مساكين في النقل، ووصفهم الجرب في العقل.

لأن -أيها الإخوة-! كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية كلمة جميلة، يقولها رَحِمَهُ اللهُ يقول: إن الإنسان كلما كان ألصق بالكتاب والسنة كلما كان عقله أنور، وهي عبارة الشافعي رَحِمَهُ اللهُ، يقول: من حفظ السنة قوية حجته، لماذا تقوىٰ الحجة؟ لأن السنة تعلمك تدربك، هو يقول: إن قالوا كذا كذا، أنت تقول: قال رسول الله كذا وكذا خلاص انتهت القضية، ما يحتاج إلىٰ كثير بيان.

من أساطينهم -أيها الإخوة- إبراهيم النُظام، النُظام علىٰ وزن الغلام، وكثير من الناس يُخطئ في نطقه ويقول: النّظام، لا هو الغلام علىٰ وزن الغلام النُظام، إبراهيم النُظام هو مشهور ويسميه المستشرقون بالمحقق، وأبو الهذيل العلاف، وأبو القاسم جار الله بن محمد بن عمرو الزمخشري صاحب التفسير المعروف، الذي يُدخل الاعتزال في تفسير الآيات إدخالًا لطيفًا لا يتنبه إليه إلا القلة من العلماء.

ولذلك يجب أن تحذر، إذا كان عندك تفسير الكشاف، أنا أقول لك لا تضعه في المسجد اتق الله في مصلين عندك، ضعه عندك في المكتبة، وإن كان ولابد الخاصة، وأكتب عليه لا يقرأ فيه إلا المحققين من أهل العلم.

والله تجد فيه أشياء، أنا كنت أقرأ فيه، ثم أذهب وأعرض ما كنت أقرأه علىٰ شيخنا أحمد بن عطية الغامدي -تغمده الله برحته-، أقول هذه العبارة ما فيها يا شيخ، فينظر إلي هكذا نظرة غضب، كيف ما فيها شيء انتبه، أنظر ماذا يقول: فأنظر ما أجد شيء، أقرأ مرة أخرىٰ، يجعلني أقرأ العبارة خمس مرات حتىٰ يتبين لي ما في الخطأ الذي فيه، ولذلك يقولون: أنه دس السم في العسل.

وهذه فائدة -أيها الإخوة-: أن أساطين المعتزلة إنما يأتوننا من باب اللغة، ولذلك هم مثل الحريري صاحب المقامات، هذا رجل معتزلي، الشريف الرضي أيضًا معتزلي، وأيضًا الرماني من أساطين المعتزلة، فهم أساطين في اللغة هذا لا يُنكر.

والجاحظ أبو عثمان عمرو بن محر أيضًا من أساطين المعتزلة، ومحققهم وناشر مذهبهم القاضي عبد الجبار، وأبو علي الجُباري محمد بن عبد الوهاب، وابنه أبو هاشم، فهؤلاء والرماني كما ذكرت هؤلاء هم -أيها الإخوة- رؤوس المعتزلة المحققين في العصور الماضية، أما في العصر الحاضر فأنتم أدرىٰ مني أنه كم من إنسان اليوم يتكلم باسم الدين بالمزاج بالعقل، والله لو سألته عن حديث في البخاري لا يعرف، لا يعرف والله، وإنما يتكلم من فراغ عقله، ومن كيسه، هذا موجود مع الأسف الشديد.

هنا سؤال مهم: هذه الفرقة الاعتزالية، نشأت في أواخر الخلافة الأموية، ولكنها ازدهرت وأصبحت لها القوة والسيطرة إبَّان الخلافة العباسية في زمن المأمون، وهنا لي وقفة مع المستشرقين الكذابين، أسمحوا لي العبارة لي أقوالها، أكرمكم الله.

يقولون: إن المعتزلة يعيشون في عصر يمكن تعايش الفرق معهم، -يا إخوان- هذا له حق في الواقع، أليس المعتزلة في عهد المأمون والمعتصم والواثق كانوا يُلجمون أهل السنة؟ أين الحرية المزعومة؟

هم يقولون: إن الاعتزال أو علماء المعتزلة يمثلون الديمقراطية، هذه إذا كانت ديمقراطيتكم صح، لأن ديمقراطيتكم خرس لسان كل من يخالفكم هذا واقع ولا لا؟ تقولوا: لا، والله صحيح، لكن الحرية الصحيحة المنضبطة بالكتاب والسنة عند أهل السنة.

أنا أسألكم سؤال: في الخلافة الأموية كان التشيع موجود، وما كانت الخلافة تتعرض لهم إلا في حالتين: ما كانوا يذهبون إلىٰ أماكنهم في حالتين فقط:

الحالة الأولىٰ: أن يأخذ التسلح، هذا أي دولة ستقاوم ولا لا؟

الحالة الثانية: أن يصبح لهم دعاة يذهبون إلىٰ بلدان المسلمين، فيمسكونهم ويلجمونهم، هذا شيء معتاد في أي دولة في العالم، أما خلاف هذا فالواقع يشهد، أن الفرق لا بل والأديان عاشت تحت ظل المسلمين بأمن وأمان في أماكنهم لم يتعرض لهم أحد.

النصارىٰ في مصر طيلة ألف وثلاثمائة سنة كانوا يعيشون تحت وإلىٰ الآن، يعيشون تحت ظل اسم الإسلام بأمن وأمان وما كان لهم كنائس، هل أحد يقول: إنهم تعرضوا للاضطهاد، والله الاضطهاد الذي كانوا يتعرضون له أيام الامبراطورية البيزنطية والأيام الامبراطورية الرومانية، وأيام الامبراطورية القيصرية كانت شيء غير معقول، ولذلك هم دخلوا في الإسلام، كثير منهم دخلوا في الإسلام، فهؤلاء فقط يريدون تلميع أن المعتزلة هم يمثلون العقل النوراني للإسلام، لا أهل الجمود.

يسمونكم أهل الجمود ترىٰ، لماذا؟ عندكم قال الله، قال الرسول، وأهل الاعتزال يسموننا بألقاب عجيبة حشويه، حشويه لماذا حشويه؟ لأنهم يقولون: قال الله، قال الرسول، قال السلف هذه حشويه نعمة الحشويه هذه، كما يقول الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

إذا كـــان تـــابع مـــذهب أحمـــد فليشـــهد الـــثقلاني أني رافضـــي

حب أحمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا ليست رفضًا هذا دين اعتقاد يا إخواني، فكون الإنسان يقول الله، قال الرسول، هذا شيء لا يجوز إنكاره، نحن ننكر أبدًا.

الشاهد: أني أقول لكم: إن المستشرقين يلمعون هؤلاء يقولون: إن الأمة الإسلامية عاشت في أبهىٰ صور الحرية إبَّان المعتزلة، ويشوشون صورة هارون الرشيد انتبهوا، لماذا؟ لأن هارون الرشيد كان رجلًا محبًا لأهل الحديث لأهل السنة، ولذلك يشوشون عليه كثيرا.

هؤلاء المعتزلة -أيها الإخوة-! كما ذكرت لكم عندهم أسماء كثيرة يطلقونها علىٰ أنفسهم، ويقولون: نحن أهل التوحيد، أهل العدل، ويسمون أنفسهم بالعدلية أيضًا، وبالقدرية والمعتزلة، وأيضًا يسمونهم المقتصدة، والوعيدية، والثنوية، والواردية، والبترية، أسماء كثيرة لا يهمنا هذا.

ننتقل إلىٰ تنبيه مهم أحب أن أنبهكم؛ لأن أهل السنة والجماعة أهل إنصاف، إذا أردتم الإنصاف فوالله لا تجدونه إلا عند أهل السنة، وسيتبين لنا خلال مدارستنا إن شاء الله هذا جليًا.

فمن إنصافنا أن نقول: إن المعتزلة -أيها الإخوة- لا يجوز لنا أن ننظر إليهم نظرة واحدة، لا يجوز لنا أن ننظر إلىٰ علماء المعتزلة ولا إلىٰ المعتزلة نظرة واحدة، بل هم علىٰ ثلاث درجات، أهل الاعتزال علمائهم وأعوامهم علىٰ ثلاث درجات:

الصنف الأول: منهم قوم لهم نوع عبادة، وزهادة، انتبه هذا صنف، لهم عبادة، ولهم زهادة، ولكن قلَّ علمهم في الرواية فقدموا عقولهم، وأفتوا بعقولهم في الاعتقاد، ولذلك وقعوا في الاعتزال، وعلىٰ رأس هؤلاء عمرو بن عبيد فقد كان زاهدًا عابدًا، حتىٰ الخليفة هارون الرشيد أغتر به، وكان يقول عنه: كلكم يأتي رويد كلكم يبغىٰ صيد إلا عمرو بن عبيد؛ فلذلك لا يغتر الإنسان بزهد الإنسان ما لم يكن معه إتباع، ننتبه لهذه القضية.

ومن هذا الصنف: واصل بن عطاء، فقد كان عابدًا معروف من عُباد البصرة، ومن هذا الصنف بعض علماء الفقه الحنفي الذين ينتسبون في الفقه إلىٰ الإمام أبي حنيفة، وفي الاعتقاد إلىٰ رأي المعتزلة، مثل علىٰ رأس هؤلاء جار الله الزمخشري أبو القاسم صاحب

تفسير الكشاف، فهو يكتب الحنفي، لكنه معتزلي جلد، وهو صاحب عبادة وطاعة، ولكن علمه بالرواية قليل جدًا، بل يكاد يكون ندرا.

الصنف الثاني: قوم لهم عناية بالعلوم الدينية المعقولة، يعني: عندهم عناية بالعلوم المعقولات، مثل علوم الآلة علوم اللغة البلاغة، علم الفصاحة، علم العروض، شعراء إلىٰ آخره، عندهم نوع عناية بالعلوم الدينية الآلية.

لكن رام الخوض في الاعتقاد فأتوا بالأجاير، مثل الجاحظ، فالجاحظ هو يعتبر من علماء الحيوان؛ لأنه عالم متخصص بالحيوان، ولذلك ألف كتابه المعروف الحيوان، وهو عالم في اللغة، وهكذا القاضي عبد الجبار كان عالمًا في اللغة، وابنه كان عالم في اللغة، فهذا قسم ثالث لكنهم في العبادة دون الصنف الأول.

الصنف الثالث -أيها الإخوة-: قوم لهم علوم دنيوية بحته، ولا عبادة لهم أيضًا، ككثير من الأطباء، والمنجمين، والكيمائيين ونحوهم ثم خاضوا في الدين فأتوا بالغرائب والعجائب، وهذا موجود كثير في فرق المعتزلة.

لعلنا ننتقل إلىٰ نقطة أخرىٰ وهي المسألة الرابعة: عدد فرق المعتزلة، كم عدد فرق المعتزلة؟

حتىٰ لا يظن ظان، لابد أن ندرك أنه ما من فرقة تفرقت عن السنة إلا وستتفرق، لذلك يقول بعض العلماء: إن من علامات الحق أن الناس يجتمعون إليها وينفرون عنها، ومن علامات الباطل أن الناس فيما بينهم عنها يتفرقون.

ولذلك لو نظرنا إلىٰ فرق الشيعة فنجد أن الشهرستاني يذكر أكثر من خمسة عشر فرقة من فرقهم، خمسة عشر فرقة للمعتزلة إلىٰ أيام الشهرستاني وهو متقدم، يعتبر من علماء القرن الخامس.

وأما صاحب كاتب الفَرق بين الفِرق وهو عبد القادر البغدادي يقول: إن المعتزلة افترقت إلىٰ عشرين فرقة.

وفي موضع أخر قال: إلىٰ اثنتين وعشرين فرقة، عشرين منها من هذه الأمة، وثنتان منها خارجة عن الإسلام، لذلك بدأ يسميهم فذكر منهم الواصلية، والعمرية، والهذيلية، والنظامية، إلىٰ أخر ما ذكر.

وهنا أنبه تنبيه: إن كان لنا فخر فلنفتخر، ألا نتفخر أننا عبيد لله، والله هذا حق الفخر، غيرنا يفتخر بأنه عبد الرسول، أو عبد عيسىٰ، أو عبد الحسين، فلنا الفخر أن نفتخر بأننا عبد الله وعبد الرحمن ولا لا؟ هذه واحدة.

ونفتخر بأن نبينا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو قدوتنا مطلقًا، ليس لنا قدوة علىٰ الإطلاق إلا هو، أما غيره فهم قدوات لكن بقيد الإتباع.

أيضًا نفتخر هنا مسألة عظيمة وهي أن ما من فرقة إلا وهي تنتسب إلىٰ أصحابها أو إلىٰ مبادئها وأسماء المبدأ إلا أهل السنة فإنها تنتسب إلىٰ السنة، هذه والله مفخرة عظيمة -يا إخوان-، يجب أن نعتز بها ونحمد الله عليها، ونعض عليها بالنواجذ، وأن ننشرها بين الناس.

هذه الأسماء لماذا ذكرتها؟ لأنها كلها تنتسب إلىٰ أشخاصها وأصحابها، ومبادئها، الإسكافيه، الجعفرية، البشرية، التمامية، حتىٰ أنهم واحد من الفرق اسمها المردارية.

وأذكر أني كتبت تعليق علىٰ تعريف المردار هذا، فكان يلقب بالمردار فقلت: ومن العجائب أنه كان يلقب بالمردار، والمردار بالفارسية معناه العذرة -أعاذكم الله-، فضحك شيخنا، قال: كيف جاءت هذه؟

قلت: ما أردي من الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ، وكان له أشياء عجيبة وغريبة، يقول: حتىٰ إن المعتزلة بدأوا يكفرونه، ولذلك يقول عبد القاهر البغدادي يقول: فهي ثنتان وعشرون فرقة، ثنتان منها ليستا من فرق الإسلام، وهما الحائطية والحمارية ثم بدأ يعدهم.

هنا سؤال مهم: كيف نعرف أن هذه الفرق هم من المعتزلة ولا ليسوا من المعتزلة، لذلك يقول الخياط في كتابه الانتصار، وهو من علماء المعتزلة، وهذه نضيفها إلىٰ علماء المعتزلة، يقول الخياط في كتابه الانتصار يقول: فلسنا ندفع أن يكون بشر كثير يوافقوننا في

التوحيد، ويقولون بالجبر، وبشر كثير يوافقوننا في التوحيد والعدل، ويخالفوننا في الوعد والأسماء والأحكام، وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال، انتبه حتىٰ يجمع القول بالأصول الخمسة.

إذًا لماذا هذه الفرق معتزلية؟ لأنها وافقت علىٰ الأصول الخمسة، ما هي هذه الأصول الخمس؟ بعد ذلك ذكرها قال: التوحيد، والعدل، والوعد، والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلي.

نحن متىٰ نقول علىٰ الإنسان أن مؤمن متىٰ؟ إذا وجدت فيه أركان الإيمان الستة، متىٰ نقول علىٰ الإنسان مسلم؟ إذا أقر بأركان الإسلام الخمسة، عندهم متىٰ يكون الإنسان معتزلي؟ سمعتم كلامه، هذا من كتابه ليس من كلامنا، هذا نص كلامه.

ويقول المسعودي هو أيضًا منهم في كتابه مروج الذهب بعد أن ذكر الأصول الخمسة المعتزلي يقول بالنص: فهذا، بعد أن ذكر الأصول الخمسة يقول: فهذا ما اجتمعت عليه المعتزلة، ومن اعتقد ما ذكرناه من هذه الأصول الخمس كان معتزليًا، فإن اعتقد الأكثر أو الأقل لم يستحق اسم الإعتزال، فلا يستحقه إلا باعتقاد هذه الأصول الخمسة، وقد تتوزع فيما عدىٰ ذلك من فروعهم.

إذًا: المعتزلي لا يسمىٰ معتزليًا حتىٰ عندهم، إلا إذا جمع هذه الأصول الخمس.

لعلي اليوم أكتفي بهذا القدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحميد، أحمده سبحانه المتصف بصفات الكمال والجلال، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وصحبه ومن سار علىٰ دربه، واقتفىٰ أثره، وسار علىٰ نهجه إلىٰ يوم الدين.

وبعد:

فقد وقفنا في مدارستنا للأصول الخمسة للمعتزلة، إلىٰ بيان هذه الأصول بعد أن انتهينا من التعريف، والمقدمات، ولكن قبل أن نخوض، أو أن نتكلم في هذه الأصول، أريد أن نسأل أنفسنا سؤالًا، وهو هل لابد للشخص حتىٰ يكون معتزليًا أن تجتمع هذه الصفات الخمسة فيه؟ هذا ما ادعاه هم، هذا ما أدعاه القاضي عبد الجبار، والمسعودي، وابن أبي الحديد وغيرهم.

لكن لما ننظر إلىٰ فعل السلف علماء أهل السنة والجماعة، فإنا نجد أنهم لا يلتفتون إلىٰ هذا الشيء، فيقولون: فلان معتزلي، مع أنه لا يقول بهذه الأصول الخمس، مثل هذا مثل الخوارج، والخوارج فِرق أكثر من عشرين فرقة ثلاثين فرقة، من الحروريين، إلىٰ الآزارقة، إلىٰ الصفرية .....الخ، وكل فرقة لها مبادئ وأصول.

لذلك نحن ننظر إلىٰ الشيء الذي يجمع الفرق هذا شيء، والشيء الذي به يتصف الفرقة بهذا الوصف هذا شيء أخر، لذلك الباحث عليه أن ينظر نظرة متأصلة، من هو المعتزلي؟

سؤال مهم من هو المعتزلي؟

لا يُشترط في المعتزلي أن يقول لك: أنا معتزلي، قد يكون معتزليًا بأفعاله، أو بأقواله، أو باعتقاداته، مثل الآن كما ذكرت لكم أن السلف يقولون: فلان متشيع، ولا يقولون: إنه شيعي، يفرقون بين كلمة شيعي ومتشيع، شيعي، يعني: أنه لا يرىٰ إلا طريقتهم ومنهجهم، متشيع، يعني: أنه مثلهم في بعض المسائل، فإذًا: نفرق بين فلان فيه اعتزال، وفلان معتزلي.

ومثل هذا أيضًا لما نقول: فلان خارجي أو فلان قال بقول الخوارج، أو فعله فعل الخوارج، لابد من هذا التأصيل العلمي، فلما ننظر إلىٰ المعتزلة، وأن الشيء الذي يجمعهم هم قالوا: خمسة أشياء، ننظر أن أصل سبب منشأهم تقديم العقل علىٰ النقل.

ومن هنا ندرك لماذا السلف رضوان الله عليهم يسمون المعتزلة جهمية، شيء عجيب، لماذا سموا المعتزلة جهمية؟ لأن أصل الجهمية، وأصل الاعتزال شيء واحد، وهو تقديم العقل علىٰ النقل.

فإن قال قائل: فإن واصل قال: بالمنزلة بين المنزلتين، وعمرو بن عبيد قال: بنفي القدر، نقول: إن هذه نتيجة، يعني: هاتين الفكرتين نتيجة لأصل المسألة، وهي خلافهم وتقديمهم عقولهم، علىٰ نصوص الكتاب والسنة، أو لنحسن الظن فيهم فنقول: علىٰ فهم السلف الصالح، فهم خالفوا في هذه الجهة.

لذلك -أيها الإخوة-! أردت أن أقول: أن الرجل قد يقول بقول المعتزلة في بعض الأمور، ويفعل فعل المعتزلة، فيعتزل الجُمع والجماعة، ويرىٰ بعض ما يراه أهل الاعتزال، ولذلك لا يشترط حتىٰ يكون فلان، حتىٰ تُطلق عليه أنه يرىٰ المعتزلة أن تكون هذه الأصول الخمسة موجودة، هذا ليس بشرط، ولكن لابد أن تقيد إذا لم يكن فيه الصفات أو الأصول الخمسة كلها موجودة.

أيضًا أنبه بتنبيهات، تنبيه أخر: المعتزلة بحسب قربهم وبعدهم عن الحق فرق، فمنها الغالية التي خرجت من الإسلام، خرجت من الإسلام بالكلية، وقد ذكرنا بالأمس أن من الفرق التي خرجت من الإسلام فرقتان ذكرهما البغدادي: الحمارية، والحائطية، أنهما من الفرق الخارجة من الإسلام.

وهناك فرق تقرب إلىٰ السنة، وإن لم تكن علىٰ السنة، وذكر ابن حزم فقال: وأقرب فرق المعتزلة إلىٰ أهل السنة أصحاب الحسين بن محمد النجار، ويقال لهم: النجارية، وبشر بن غياث المريسي -بتخفيف الراء- ثم أصحاب ضرار بن عمرو، وأبعدهم أصحاب أبي هذيل العلاف، فلابد أن ندرك حتىٰ أنهم كفرق فمنهم القريب، ومنهم البعيد.

قبل أن ندخل في أصول المعتزلة سؤال أخر، من أين نأخذ أقوال ومعتقدات المعتزلة؟ لماذا هذا السؤال؟ حتىٰ إذا رأيت رجل يقول بقول المعتزلة في هذا العصر، فأنت إذا رجعت إلىٰ المصادر الأصلية تجد أن هذه العبارة هي نفسها تلك العبارة، فمعرفة المصادر أمر مهم.

لذلك أقول المصدر الأول: كتبهم، المصدر الأول لمعرفة أصول وقواعد، وأقوال المعتزلة كتبهم، ولا شك أن مؤلفاتهم لديكم معروفة، مثل كتاب الكشاف للزمخشري، وهو صاحب البيت المشهور، الذي يقول عن أهل السنة:

قـــد شـــبهوه بخلقـــه فتخوفـــوا شـــنع الـــوراء فتســـتروا بالبلكفـــة

يعني يقول: أهل الحديث، وأهل السنة يقولون: إن الله جَلَّ وَعَلَا حي بلا كيف، وقادر بلا كيف.

هكذا يزعم، فهذا أول مصدر، وهو من أكبر المصادر عند المعتزلة.

مداخلة: فتستروا ماذا؟

الشيخ: بالبلكفة.

مداخلة: بلا كيف.

الشيخ: أهل السنة يقولون: ألسنا نقول: الله له ذات ولا لا؟ بلا كيف.

أيضًا من مصادرهم الكتاب المغني، وهذا الكتاب من أكبر المصادر الاعتزالية للقاضي عبد الجبار، وهو من الكتب المتقدمين، وعنده نوع عناية باللغة، ولكنه في الاعتقاد جدلي بحت.

وأنا أنظر في قول المعتزلة في أفعال الله عَزَّ وَجَلَّ في الأصل الثاني كما سيأتي، وإذا به، يعني: من الطرق العجيبة لجعل الناس ينبهرون بهم، ولجعل الناس يزعلون لهم، ولجعل الناس يقولون عنهم: أنهم علماء، أنه يأتي إلىٰ الأفعال فيُقسم أفعال الله عَزَّ وَجَلَّ إلىٰ قسمين، ثم يقسم أحد القسمين إلىٰ قسمين، ثم يقسم هذا القسمين إلىٰ قسم، إلىٰ أن وصل إلىٰ

ثمانية أقسام، لكل هذه الأقسام نسيت أنت الأول، والآن علىٰ كيفكم يفصل فيه، هذه مصيبه عندهم، لذلك لا تنبهر، بهذه الآفات العلمية التي يسمونهم، والهالات العلمية.

أيضًا من مصادرهم، أيضًا من كتب القاضي عبد الجبار، طبعًا المغني أربعة عشر مجلد، انتبهوا أربعة عشر مجلد، وكله مليء بالاعتزال.

مداخلة: موجود مطبوع يا شيخ؟

الشيخ: نعم طبعوه المستشرقين، نحن قلنا أمس، أن المستشرقين أخرجوا كتب المعتزلة، بعدما كان أهل السنة لا يجيزون لأحد قراءتها.

أيضًا من مؤلفاتهم متشابه القرآن، جاء إلىٰ آيات الصفات آية آية، كل آية فيها صفة من صفات الله يبدأ يؤولها ويحرفها، ويصرفها عن ظاهرها، ابتداء من الحياة، والعلم، والسمع، والقدرة إلىٰ ما لا نهاية من الصفات.

أيضًا من مؤلفاته كما ذكرنا في الأمس شرح الأصول الخمسة.

أيضًا الجاحظ له كتاب باسم كتاب التوحيد، لكن هذا حسب علمي لا أعلم هل طبع أو لا؟

أما ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة؛ فإنه يجمع بين شرين، انتبهوا يجمع بين شرين طعن في الصحابة من جهة، وباسم الحكايات والمرويات المكذوبات، ومن جهة أخرىٰ أنه يُعظم ويُجل المعتزلة، وينشر أصولهم في كتابه شرح نهج البلاغة، المطبوع قديمًا في مصر، وهو طُبع عدة طبعات في طهران وفي غيرها.

المصدر الثاني من المصادر التي بها نعرف أقوال المعتزلة: كتب أهل السنة الذين عاصروهم، هناك علماء عاصروا عمرو بن عبيد، ونصر بن عطاء، عاصروا القاضي عبد الجبار، أحمد بن أبي دؤاد.

وأنتم تعرفون لا يخفىٰ عليكم الكتاب العظيم الذي ما أُلف مثله في الإسلام نقض الدارمي علىٰ بشر المريسي، هذا الكتاب لو قرأه الإنسان عشرين مرة ما كان كثيرًا، نقض

الدارمي علىٰ بشر المريسي من أعظم الكتب المؤلفة في الرد علىٰ المعتزلة، فكتب أهل السنة فيها حكايات لأقوالهم.

ويأتي إنسان ويقول: إن أهل السنة إنما تكلموا ونقلوا، وهم ما فهموا كلام أهل الاعتزال، هذا كلام خطير ترىٰ، فيه تجهيل لعلماء السلف، كأننا نقول: أنت يا عبد القادر البغدادي ما فهمت، اللالكائي أنت ما فهمت كلام المعتزلة، هذا غلط ترىٰ عظيم، لكن هذه طريقة المستشرقين اليوم.

يقولون: وقال فلان، يذكرون أحد علماء أهل السنة سواء الخلَّال أو الآجري، أو اللالكائي، أيًا كان أو حتىٰ الإمام أحمد ثم يقول: وهم لم يفهموا كلام المعتزلة، إذا كان كلام المعتزلة لم يفهمه الإمام أحمد ولا أئمة السنة، فهو أحد أمرين: إما أنها كتبت بالعبرية فهم فهموه ونحن ما فهمناه، وإما إنها ماذا؟ يعني: ألغاز، هذا كلام لا يقبله عقل فضلًا عن عاقل ينتسب إلىٰ العلم.

أيضًا المصدر الثالث من المصادر التي يمكن الرجوع إليها في معرفة أصول وقواعد المعتزلة: كتب الفرق المخالفة لهم، مثل الماتريدية، الأشاعرة، كتب الحارس المحاسبي، أبي عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب وغيره.

أيضًا المصدر الرابع: كتب الفرق التي توافقهم في بعض أصولهم، مثل كما تعلمون أن الإباضية هم يوافقون المعتزلة في كثير من أصولهم، وهم لهم مؤلفات موجودة ومطبوعة، وإن كانوا هم في الأصل خوارج.

أيضًا الروافض أو غُلاة الشيعة، وافقوا المعتزلة في القدر، وافقوا المعتزلة في التوحيد، وافقوا المعتزلة في العدل، ولذلك لو تلاحظون ما اسم كتاب شيخ الإسلام الذي رد به علىٰ الحلي؟

منهاج السنة النبوية في الرد علىٰ الرافضة القدرية، لماذا قال عنهم قدرية؟ لأنهم في القدر مثلهم سواء لا فرق، فهذه المصادر التي يمكن لنا أن نرجع إليها لمعرفة أصول وقواعد المعتزلة.

نبدأ اليوم بالأصل الأول من أصولهم: ألا وهو الذي سموه بالتوحيد.

التوحيد -يا إخواني-! تفعيل، صحيح؟ تفعيل، يعني بمعنىٰ: تقطيع، هذا شيء واحد، فإذا أردنا أن نوجد فيه صفة التفعيل لاحظ، هذا يسمىٰ تفطيل تفعيل، الآن هو مُقطع، فإذا جعلته واحدًا هذا توحيد.

هم نظروا إلىٰ المعنىٰ الاشتقاقي الأصلي، فقالوا: الله واحد لا بجعل جاعل، فقالوا: إضافة الصفات، إضافة الأسماء إليه هذه ليس توحيدًا منافيًا للتوحيد، ما فهموا، أقول والله بكل صراحة أقول: ما فهموا أن المراد بالتوحيد خبرٌ وفعلٌ.

فأنت تقول: إن الله عَزَّ وَجَلَّ واحد، فلما تقول: أنا أوحد الله، أي: أعتقد أن الله واحد، وليس أني أجعل الله واحد، هو واحد سبحانه، هذا معنىٰ العلمي.

والمعنىٰ العملي، لما نقول: التوحيد المعنىٰ العملي، أني أنا بأفعالي أفرد الله، فأصلي له، أركع له، أصوم له، أسجد له لا لغيره.

فإذًا: لاحظوا أن التفعيل إما علمي، وإما عملي، لا يتعلق بذات الله عَزَّ وَجَلَّ ولا بأسمائه ولا في صفاته؛ لأنني أنا الذي الآن أخبر، فأقول: أنا أوحد الله، وهذا هو التوحيد، أي: فعلك وعلمك، واعتقادك، أما الله فهو واحد جل في علاه، فهم يسمون الأصل الأول التوحيد، وتميزوا بهذا الأصل ودندنوا حول هذا الاصل دندنة عظيمة.

قال ابن حزم، وللتنبيه: ابن حزم ليس موافق للسلف في الاعتقاد في كل شيء ترىٰ، حتىٰ نكون علىٰ حذر، ابن حزم مدرسة مستقلة في الاعتقاد في نفسه، فهو لا مع المعتزلة، ولا مع الأشاعرة، ولا مع أهل السنة، من عجائبه رَحِمَهُ اللهُ أنه أنكر كلمة الصفات، قال: لا يقال: إن الله له صفات، نعم سميع، بصير، يسمع، ويبصر لكن لا يقال له: صفة، لماذا؟ قال: لأن هذا ما ورد في السنة، مع أن هذا ورد ولا لا؟

مداخلة: ورد في السنة أنه السميع البصير.

الشيخ: لا، لا كلمة الصفة، هو يتكلم عن كلمة، هو لا ينكر الصفات، هو ينكر كلمة الصفة، يقول: لا تضيفها إلىٰ الله.

مداخلة: إطلاقًا؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: هل نقصد المصطلح؟

الشيخ: مصطلح كلمة صفة الله.

مداخلة: ورد في حديث شفاعًا.

مداخلة: ....

الشيخ: نعم أحسنت، مع أن هذا ورد في البخاري، قال: «إِنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَإِنِّي أُحِبُّهَا»، لكن غاب عن ذهني هذا الكلام.

ابن حزم ماذا يقول؟ يقول: وأما المعتزلة فعمدتهم التي يتمسكون بها الكلام في التوحيد، وما يوصف به الله تعالىٰ.

وقال الزمخشري: دين الله هو التوحيد والعدل، هذا دين الله، لا توجد مباني الإسلام الخمس، ولا مباني الأركان الست، لا، دين الله يقول: هو التوحيد والعدل، هذا في الكشاف في المجلد الأول في صفحة ثلاثة وسبعين وثلاثمائة.

ثم قال صاحب كتاب دستور العلماء: فسمىٰ المعتزلة أنفسهم، أصحاب العدل والتوحيد لقولهم بوجوب ثواب المطيع، وعقاب العاصي علىٰ الله تعالىٰ، وقولهم في نفي الصفات القديمة، يعني: أنهم سموا أنفسهم أصحاب العدل بالقياس إلىٰ القول الأول، وأصحاب التوحيد بالنظر إلىٰ القول الثاني.

علىٰ كل حال يقول القاضي عبد الجبار في بيان معنىٰ التوحيد عندهم: والأصل فيه أن التوحيد في أصل اللغة عبارة عما به يصير الشيء واحدًا، مثل ما ذكرت لكم، كما أن التحريك عبارة عما يصير الشيء متحركًا، والتسويد عبارة عما به يصير الشيء أسود، ثم يستعمل في الخبر عن كون الشيء واحدًا، لما لم يكن الخبر صدقًا إلا وهو واحد، فصار ذلك كالإثبات فإنه في أصل اللغة عبارة عن الإيجاب.

ثم تكلم بكلام وقال: والواحد يلزم حتىٰ يكون واحدًا أن لا يوصف بصفة، لماذا؟ قال: لأنها مخالفة للقدم؛ لذلك -أيها الإخوة-! لابد أن نفهم أن كلمة التوحيد معناه إثبات وجود الله عَزَّ وَجَلَّ بلا صفة، هذا معنىٰ التوحيد عندهم، ودندنوا حول هذا كثير.

طبعًا حتىٰ نكون دقيقين، ما الفرق بين المعتزلة وبين الجهمية أتباع جهم بن صفوان الترمذي، ما الفرق بين الطائفتين؟ طبعًا الجهمية هم يعتبرون أساتذة للمعتزلة، لكن الفرق العظيم أن الجهمية ينفون الاسم والصفة، فلو قيل لهم: كيف نستدل علىٰ الله؟ فينفون الاسم والصفة، فلا أدري كيف يكون جوابهم.

أما المعتزلة فيثبتون الأسماء مجردة عن معانيها، ويقولون عنها: إنها أعلام محضة، هذا قول طائفة منهم، إنها أعلام محضة لا معاني لها، مثل لما نقول: فلان خالد، وهو ليس مُخلد، فلان شجاع، وهو ليس بشجاع، فهذه أعلام محضة، مثل الجدار، لماذا سمي الجدار جدارًا؟ علم محض، القلم لماذا سمي قلمًا؟ علم محض.

فهم يقولون: أسماء الله تعالىٰ أعلام محضة، طيب وما تضمن الاسم من المعنىٰ من الصفة، قالوا: يلزم من إثباتها تعدد القدماء، شيء غريب، فأسماء الله تعالىٰ عندهم، انتبهوا! أسماء الله تعالىٰ عندهم مخلوقة.

مداخلة: ...

الشيخ: مخلوقة.

مداخلة: مخلوقة بمعنىٰ ماذا؟

الشيخ: نعم مخلوقة بمعنىٰ ماذا؟ ممتاز سؤال ممتاز سؤال مهم، يقولون: إن الله عَزَّ وَجَلَّ أخبرنا أنه الله، أنه السميع، أنه البصير ولا لا في القرآن؟ والقرآن عندهم مخلوق، إذًا: فهمت الآن.

مداخلة: صارت الأسماء بالتبعية.

الشيخ: صارت الأسماء، هذا قول بعضهم، وقول الآخرين منهم يقولون: إنها أسماء باعتبار الدلالة عليه، كما قال الدارمي رَحِمَهُ اللهُ: فزعم بِشر، هذا نص كلامه، يقول:

فزعم بِشر أن الله لم يكن له اسم، حتىٰ جاء الخلق فسموه بالخالق، هذا معنىٰ أخر ترىٰ، لكن كلا المعنيين باطل.

ولذلك قال الطحاوي في متين العقيدة الطحاوية وهذا متن من متون أهل السنة ولا لا؟ يعني: هو حكىٰ فيه عقيدة الإمام أبي حنيفة وأبي يوسف، ومحمد حسن وهو عقيدة الأئمة علىٰ اختلاف في بعض الالفاظ، لكن في الجملة هو عقيدة أهل السنة والجماعة.

قال رَحِمَهُ اللهُ: فهو الخالق قبل وجود الخلق، ولا لا؟ لاحظ كما أنه المحيي قبل إحيائه، وهو المميت قبل الإماتة، وجَلَّ وَعَلَا الباعث قبل أن يبعثنا يوم الحشر، هذه مسائل المعتزلة قالوا: إن أسماء الله مخلوقة.

أيضًا قالوا: إنه سبحانه ليس له صفة، الكلمة هذه لا يريدونها، ولا وصف الكلمة هذه لا يريدونها، لكن قد يقولون –انتبه–، قد يقولون: إن الله هو القادر، قلنا: هو القادر ماذا تقصدون؟ اسمًا، هل عنده قدرة، أو ليس عنده قدرة؟ يقولون: انتبهوا لهذا التقسيم، انقسموا إلىٰ قسمين: المعتزلة في تفسيرهم في قولهم الله هو القادر، هو العليم، هو الحي، انقسموا إلىٰ قسمين:

القسم الأول: وهو جمهورهم قالوا: إنها أعلام محضة، لا تدل علىٰ صفة، ولا علىٰ معنىٰ، وهذا قول الجمهور منهم.

والقسم الثاني منهم قالوا: إن الله العليم بلا علم، السميع بلا سمع، البصير بلا بصر، عجبًا من الزمخشري كيف يسمينا بالبلكفة، وهم أنفسهم يقولون: السميع بلا سمع، هذه والله أشد تصورًا من قول الإنسان إني أثبت وجود الله لكن لا أعلم كيفه، هذا ممكن.

مداخلة: معناه يا شيخ أعلام محضة تدل علىٰ ماذا سميع بلا سمع، كان من نفس القول يحملها.

الشيخ: هو لازمه.

مداخلة: يقصدون الآلة ولا ماذا؟

الشيخ: لا، لا يأتي الفرق الآن، القول الأول: أنها أعلام محضة لا معاني لها ولا صفة.

القول الثاني يقولون: إننا نقول: إن الله عَزَّ وَجَلَّ هو العليم، والعليم يدل علىٰ العلم، ولكن العلم بلا، يقول: علم بلا صفة العلم، كيف يعني؟ قالوا: والعليم عين الله، يعني: كأنهم يقولون: وهذا صرح به جمع منهم، يقول: نثبت معاني هذا الصفات، ولكن لا نقول إنها إلا أنها عين الذات.

فورد عليهم إشكال فقيل لهم: إذا كانت هذا المعاني هي عين الذات، فمعنىٰ هذا أنه ما في فرق بين العليم، والسميع، والبصير، والحي، والقادر، كل شيء واحد، ورد عليهم هذا السؤال.

إذًا هم انقسموا إلىٰ قسمين: منهم من قال: أعلام محضة، ومنهم من قال: لا، هي ليس أعلام محضة، إنها دالة علىٰ معاني لكنها هي عين الذات، ولا يثبتون صفة من السميع صفة السمع، من العليم صفة العلم، من الحي صفة الحياة لا يثبتون هذه المعاني.

إذًا نقول القاسم المشترك بين هذا المعتزلة: أنهم أثبتوا الأسماء لفظًا، ونفوا الصفات حقيقة كلهم، هذا حقيقة قولهم، فاختلفوا في التعبير، فاختلفوا في ماذا؟ في التعبير، فمنهم من قال: أعلام محضة مترادفة، والعلم المحض هو الذي يدل علىٰ العلمية فقط، ولا يدل علىٰ الوصفية، فجردوا أسماء الله تعالىٰ عما تضمنته من المعاني.

هنا لابد أن ندرك أن التوحيد الذي عناه المعتزلة، نريد أن نعرف ما هو سبب قولهم هذا؟ ترىٰ معرفة أصول الضلالات معينة في معرفة تشعبها بعد ذلك، ما هو أصل منشأ هذا القول، لماذا قالوا هذا القول؟ هذا سؤال مهم ترىٰ، هل قالوا هذا القول بناء علىٰ الأدلة النقلية؟

لا طبعًا؛ لأنهم يقولون: إن التوحيد والعدل بابان ليس للنقل فيهما مدخل، إذًا من أين قالوا هذا الكلام إذًا؟ من عقولهم، طيب ما هو سبب هذا القول من الناحية العقلية، سؤال يرد أو ما يرد؟ ما هو منزع هذا القول لماذا قالوا هذا القول؟

-أيها الإخوة-! حقيقة أنها هناك قاسم مشترك بين المعتزلة، وبين الكلابية، وبين الأشاعرة، وبين الجهمية، وبين الفلاسفة المنتسبين إلىٰ الإسلام هناك قاسم مشترك، وهو

أنهم بحثوا في ذات الرب عَزَّ وَجَلَّ وأسمائه وصفاته بعقولهم، فأرادوا، انتبه من أين بدأ النشأة؟ أرادوا إثبات وجود الرب بالعقل، فلما أرادوا إثبات وجود الرب بالعقل اتفقوا علىٰ هذه القاعدة، إثبات وجود الرب بالعقل.

ثم نزعوا منزعًا عجيبًا، فقالوا: إن علامة إثبات وجود الرب أنه ليس له شيء من صفات المحدثات المخلوقات، وهنا منزع الاختلاف فيما بينهم، فاختلفوا بعد ذلك في تفسير هذا المعنىٰ، هذا سبب النزاع الآن هنا، من هنا بدأ، يريد أن يثبت وجود الرب بعقله، كيف تثبت وجوده؟ قال: كل ما تراه من المحدثات متغيرات مبتدئات، منتهيات، إذًا: الله بخلاف ذلك.

فأوردت الملاحدة عليهم سؤالًا؛ لأنهم راموا إثبات وجود الله بالعقل فقط، مجردًا عن النقل، فأوردت الملاحدة عليهم سؤالًا قالوا لهم: ما الذي جعل الرب يخلق؟ لماذا خلق؟ هل لم يكن خالقًا قبل ثم أصبح قادرًا، أو كان خالقًا فما المانع من خلقه أولًا؟ فدخلوا معه في نزاعات، فصارت مثل ما يقول: المدار والرحىٰ أنهم نظروا إلىٰ كل شيء في المُحدثات حتىٰ يلجموا الملاحدة قالوا: ليس كذا، ليس كذا، ليس كذا، ليس كذا، أتعبوا عقولهم، وأتعبوا الناس معهم.

مداخلة: الذي كحلها عماها.

الشيخ: أحسنت، أشياء كثيرة، أهل السنة والجماعة إذا جاءوا عند ملحد، يريدون أن يثبتوا وجود الله عَزَّ وَجَلَّ بالعقل، أليس عندهم عقول؟ لكن عقولهم منورة بالكتاب، الكتاب المنزل، السنة فيهما دلالات عقلية في إثبات الرب عَزَّ وَجَلَّ، النظر إلىٰ الآثار، النظر إلىٰ المفعولات، النظر إلىٰ النظام، النظر إلىٰ دقة الخلق، أربعة أشياء موجودة في القرآن، النظام الدقيق، والمخلوقات المتنوعة، وأيضًا أثار المليك جل في علاه والتصرف، ثم تنظر أنت تجد إحداثه جَلَّ وَعَلَا في المخلوقات، هذه أدلة عقليه.

يعني: أنا الآن لو جئت، وقلت لك: إن هذا القلم، وجد بنفسه، قطعًا لا أحد يقبل هذا الكلام، لا بد أن يكون له صانع، فإذا كان كل شيء وجد بعد أن لم يكن، فلابد له من

واجد، كل شيء وجد بعد أن لم يكن فلابد له من واجد أو موجد، وهنا يأتيك إبليس كما هو معروف، فيقول لك: فمن وجد الله؟ يا إبليس عليك من الله ما تستحق، إننا نقول: كل ما وجد بعد أن لم يكن فلابد له من واجد، أما الله فأزلي فليس السؤال واردًا، ولا لا؟

تأملوا معي أن الكلابية قالوا: إنا إذا أثبتنا له الصفات الفعلية، بمعنىٰ يجيء وينزل، ويستوي سبحانه، ويخلق في وقت معين، ويرزق في وقت معين، ويريد في وقت معين، قالوا: يلزم منه حلول الحوادث، فنفوا أفعال الرب عَزَّ وَجَلَّ من هؤلاء؟

الكُلابية؛ لأنهم وافقوا المعتزلة في أصل القول بأن الرب عَزَّ وَجَلَّ لا تحل فيه الحوادث، كلمة مجملة لأجلها نفوا الصفات، ما معنىٰ لا تحل فيه الحوادث؟ إذا كان مقصودكم أن المخلوقات لا تكون في ذات الله هذا من مُشرع، إذا كان مقصودكم أن الله لا يفعل في وقت معين، لا يريد في وقت معين، لا يعذب في وقت معين، لا يتكلم في وقت معين، لا يجيء في وقت معين، فهذا أمر مردود لا نقبله.

فإن قالوا: إنكم إذا قلتم: أنه يخلق وقت معين، يرزق في وقت معين، أنه يريد في وقت معين، يلزم منه أنه لم يكن قبل ذلك خالقًا أو مريدًا، أو عالمًا، نقول: هذا عندكم، عندنا ليس بلازم، لا نلتزم، فهم أصل منشأ قولهم في نفي الصفات أمران:

أحدهما: نفي الحوادث عن الله عَزَّ وَجَلَّ بزعمهم؛ لأن إثبات الصفات يلزم منها الحوادث مع الله.

والثاني: زعمهم أن إثبات الصفات يلزم من ذلك تعدد القدماء، فيقولون: إذا كان النصراني يقول: إن الله هو الأب، والابن، وروح القدس، قلتم عنه: إنه كافر، وبنص القرآن: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، فقالوا: أنتم تقولون: إن الله حي، سميع، قادر، متكلم، مريد، أنتم أكثر من النصارىٰ، هكذا يقولون، نقول: هذا الكلام لا يمكن أن يقوله عاقل، أن إثبات الصفات، يلزم منه تعدد القدماء أبدًا، فإذا هم يقولون ماذا؟

يقولون: هل صفاته جَلَّ وَعَلَا وجدت بعد أن لم يكن، قلنا: أنتم قلتم هذا، قلتم: الصفات وجدت بعد أن لم يكن، فإثباتكم لها إثبات تعدد القدماء، أما نحن فنقول: الله لم يزل وعلمه لم يزل، وقدرته لم يزل، وإرادته جَلَّ وَعَلَا ، فهو الأول، والأخر، الظاهر، والباطن، الخالق، العليم سبحانه وتعالىٰ أزلًا وأبدا.

-أيها الإخوة-! نحن نريد أن نفهم فقط أصل كلمة التوحيد عند المعتزلة، هذه الكلمة الجميلة التي أرادوا من وراءها معاني فاسدة دخيلة، فهم يقولون: لا نثبت الصفات.

طيب نحن الآن نقول لهم كما يقول بعض السلف: إذا كنتم لا تثبتون، انتبهوا الآن إلىٰ الذي أقوله الآن، إذا كنتم لا تثبتون لله صفة، فكيف تثبتون لله فعلًا؟ أليس الفعل صفة؟ أجيبونا، والله ما استطاعوا، ألزمهم الإمام الدارمي ما استطاعوا الهروب، ولا استطاعوا الجواب، فحاصوا حيصه يفرون يمينًا وشمالًا، لعلهم أن يدسوا رؤوسهم في التراب، لا أثبتوا لله كلامًا، ولا أثبتوا لله فعلًا، فكيف إذًا نعرف شرعه؟ قالوا: إن كلامه مخلوق، طيب أنتم تقولوا: ليس له فعل، قالوا: لا نقول له فعل، إذا قلتم له فعل، إذًا: يلزم منكم أن تثبتوا صفات؛ لأن الفعل صفة للفاعل.

لكن ننتبه إلىٰ مربط أخر قضية مهمة جدًا: هم هؤلاء المعتزلة، ومن وافقوهم علىٰ هذا الأصل قالوا كلمة عجيبة قالوا: إنا لا نقول -انتبه فرار من إلزام- نحن ألزمناهم الآن، قلنا: أنتم تقولون: إن الله، من الخالق؟ يقولون: الله، من الرزاق؟ الله، طيب الفعل صفة من صفات الله، فأثبتوا باقي الصفات أيضًا، قالوا: لا -انتبهوا إلىٰ هذا المأخذ الدقيق- وقد وافقهم علىٰ هذا جمع من المتكلمين، قالوا نحن نقول: إن هناك خلقًا هو فعله، لاحظ، وهناك خالقًا ولا نثبت شيئًا ثالثًا، ماذا تفهمون من هذه العبارة؟

الذي يقول: إن هناك خالق وخلق فقط فمعناه أنه يفسر الفعل بالمفعول، ولا يثبت لله صفة حقيقية هي فعله، طيب إذا كان أنتم تقولون: الخلق معناه المخلوق، الفعل معناه المفعول، فهناك خالق فاعل، وهو الله عَزَّ وَجَلَّ، وهناك مخلوق مفعول، من الذي أوجده

قالوا: بكلمة كن، طيب أنتم قبل قلتم: إن كلمة كن مخلوقة أيضًا، عجيب والله، غريب جدًا، ما نعرف لهم والله، كيف نسوي معهم.

قوله الله كن فيكون، من الذي قال: كن فيكون، الله الذي قال: كن فيكون، أو المخلوق الذي خلقه الله، فقال: للمخلوق كن فيكون؟ إن قلتم: المخلوق قال للشيء: كن فيكون، فسميتموه بالله، إن قلتم: أن الله هو الذي قال له: كن فكان، إذًا: لا بد أن تثبتوا أن الله له كلام، ما لكم مفر.

تأملوا ماذا يقولون؟ هذه عبارة لهم، يقولون: لو كان عالمًا بمعنىٰ قديم، انظر العبارة الآن، يجيب لك عبارات حتىٰ يخليك مثلما يقولوا الناس: يدوخك أول شيء وبعدين يعطيك أي شيء تظنه شرابًا، وعسلًا مصفىٰ.

اسمع للعبارة هذه، قالوا: لو كان عالمًا بمعنىٰ قديم لكان ذلك المعنىٰ إما هو أو غيره، أو ليس هو ولا غيره، فقط فسر، يقولون: لو كان عالمًا بمعنىٰ القديم، نحن الآن نقول: إن الله عالمًا، وعلمه أزلي أو محدث؟ أزلي، لا يوجد أحد من أهل السنة إلا ويقول: علم الله أزلي، فهو جَلَّ وَعَلَا عالم أزلًا وأبدا، طيب قادر أزلًا وأبدا، حي أزلًا وأبدا.

هم يقولون لو، قالوا: لو كان عالم بمعنىٰ القديم لكان ذلك المعنىٰ إما هو أو غيره، أو ليس هو ولا غيره، أنتم ماذا تقولون الآن: العلم هو الله، أو غير الله؟ قال بعض العلماء: إن قلت: هو الله، قلت بقول المعتزلة، إن قلت: غير الله، انتبه! إن قلت أشركت، فماذا تفعل؟

تقول كما قال الله: العصمة في كتاب الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، إن لله تسعة وتسعين اسمًا، نقول: العلم صفة لله، دعك من كلمة غيره، ودعك من كلمة هو، هذه ما وردت هذه من عندك، من عقلك؟

لا، نحن نتقيد بما ورد في الكتاب، ما الذي ورد في الكتاب: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، إذًا: الاسم لله، الصفة لله، لا نقول: عينه ولا غيره، إذا قلنا: غيره، ربما يتصور المتصور المغايرة الذاتية، وإلا فنحن ندرك علم اليقين أنه لا يمكن

للصفات أن تكون مغايرة علىٰ الذات؛ لأن الصفة تقوم بالذات، الصفة قائمة بالذوات، قالوا: لو كان عالمًا بمعنىٰ قديم لكان ذلك المعنىٰ إما هو وغيره، أو ليس هو ولا غيره، قلنا الجواب من عدة وجوه:

الأول: التفصيل، ما مرادك بكلمة هو أو غيره؟ إن كان مرادك بكلمة هو، أي: قائم به، فهذا هو المعنىٰ الذي نعتقده، إن كان مرادك بكلمة غيره، يعني: ذاتًا المستقلة، فنحن لا نثبت ذوات مع الله أزلية.

الجواب الثاني: أن نقول: نمتنع عن الجوابين، لا نقول: هو، ولا نقول: غيره، وإنما نقول: إن هذا حصر باطل، سبر ناقص.

والقاعدة العقلية عندكم: أن الحصر الناقص والسبر والتقسيم الناقص، لا يلزم الخصم، وإنما السبر الكامل والحصر الكامل أن يقال: إن هذه الأسماء إما هو، أو غيره، أو له، صح ولا لا؟ فنحن نلتزم ماذا؟ بالثالث، ولله الحمد والمنة، وهو الذي جاء في الكتاب والسنة.

طيب نسمع عبارة ثانية، قالوا: إن كلامه سبحانه فعل منه أنشأه، ومثله لم يكن من قبل ذلك كائنًا، ولو كان قديمًا لكان إلاهًا ثانيًا، يعني: الكلام لو كان قديمًا لكان إله ثانيًا، هذا هو دليل المعتزلة علىٰ نفي المعاني القديمة التي منها القرآن، نفوا صفات الله عَزَّ وَجَلَّ بهذه الحجج.

فقالوا نسمع علىٰ هذه العبارة العجيبة، قالوا: فلو أن في الوجود معنىٰ قديمًا قائمًا بذات الباري، لكان ذلك المعنىٰ مشارك للباري في أخص صفاته، وكان يجب لذلك المعنىٰ جميع ما وجب للباري من الصفات، نحو العالمية والقادرية وغيرهما فكان إلهًا ثانيا.

أعيد القضية المنطقية هذه ولا ما يحتاج؟ أحسن نعيدها، لأننا سنردها برد منطقي بعد، قالوا: لو أن في الوجود معنىٰ قديمًا قائمًا بذات الباري، لكان ذلك المعنىٰ مشارك للباري في أخص صفاته، أخص صفات عندهم القدم، وكان يجب لذلك المعنىٰ جميع ما وجب

للباري من الصفات، نحو العالمية والقادرية وغيرهما فكان إلهًا ثانيا، هذا كلامهم، في جواب عامي، وفي جواب علمي.

الجواب العامي: جواب العامة ترىٰ أحيانًا تُلجم الخصم مرة واحدة، نقول له أنت الآن تقول: إن من أخص صفات الباري القديم فأثبت معه صفة، هذا جواب العامي، صح ولا لا؟ خلاص انتهىٰ، أنت الآن تريد أن تنفي الصفات، بحجة أن ذلك مناف لأخص صفاته، فأنت أثبت صفة القدم.

أما الجواب العلمي فنقول: ونقض هذه المقالة من عدة أوجه:

الوجه الأول: امتناعي؛ لأن نقض الكلام إما أن يكون امتناعيًا، وإما أن يكون نقديًا، والامتناع إما للمقدمة الأولىٰ أو الثانية، أو النتيجة، وإما نقدي، وإما تنزلي، وإما لازمي، بأي وجه ترد تستطيع رد، بهذه الأوجه الأربعة:

الوجه الأول: امتناعًا، أننا نقول: إن الكلام ليس هو الفعل، فالكلام قول، هذا الجواب الأول، فما دام الكلام ليس فعل هو قول، فأنتم كيف تقولون: إذا أثبتنا القول فإنه يلزم من ذلك إثبات معنًا قديم مع الله عَزَّ وَجَلَّ؟

الوجه الثاني: امتناعي، نقول: لا يلزم من اثبات الصفات تعدد الآلهة، كما أننا نعلم علم اليقين أن إثبات الصفة في الذات، لا يلزم من ذلك تعدد الذوات.

الوجه الثالث: نقدي، نقول: ليس أخص صفاته القِدم، لماذا ليس أخص صفاته القِدم؟ لأن هذه الصفة لم ترد لا في الكتاب، ولا في السنة الصحيحة، بل أخص صفاته جل في علاه، ما أخص صفاته؟

رب العالمين، الذي جاء في القرآن، أخص صفاته رب العالمين، أرحم الراحمين، ملك الملوك، أخص صفاته ما يدركه عامة الخلق قبل الخاصة، وإلا ما كان أخص صفاته، لو كان أخص صفاته صفة لا يدركها عامة الناس، فكيف يكون هذا أخص صفاته؟

أما الوجود فليس من أخص الصفات؛ لأن الوجود ثابت له وجودًا أزليًا، وثابت للمخلوقات وجودًا غير أزلي، فهذا وجود مشترك، لكن ذاك وجود أزلي له جل في علاه، وللمخلوقات وجود مُحدث مخلوق.

أيضًا نقول الوجه الرابع: إلزامي، لو نفينا الصفات، لكان الإله الذي أنتم تعبدونه: إما له ذات حقيقة، أو ليس له ذات، انتبهوا الآن، نقول: الإله الذي تعبدونه أيها المعتزلة إما له ذات حقيقة موصوفة بالصفات كما نقوله نحن، أو ذات ليس له صفات فهذا لا يمكن وجوده عقلًا وأنتم تدَّعون العقل، فيلزمكم الثالث، وهو أن وجوده خيالي، ما هو الشيء الذي يمكن أن يكون موجودًا بلا صفته؟ لا يمكن إلا أن يكون شيئًا ذهنيًا.

سأضرب لكم مثال: كلمة الكليات، هل لها وجود في الخارج؟ الحيوان الناطق الذي هم يسمونه، هل له وجود في الخارج كلي، ولا وجوده في الخارج جزئي؟ إذًا: الكليات المطلقة التي لا يمكن وصفها هي التي وجودها خيالي، كيف جعلتم الله تعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا خياليًا.

ولذلك انتبهوا الآن أعيد الوجه الإلزامي، إن الذي نقوله نحن: أنَّا إذا نفينا الصفات فيلزمان الآن، يلزمنا هذه الثلاث، نقول: إذا نفينا الصفات يلزمنا أن نثبت لله وجودًا بلا صفة، أو وجودًا حقيقيًا خارجيًا بلا صفة، وجود حقيقي وليس خيالي، وإما أن يكون وجوده خياليًا وليس له حقيقة، وإما أنكم تقولون: لا، له ذات موصوفة، فهذا الذي نحن نقوله.

ومن هنا نحن أقول: لماذا وجدت الرِّدَّة كثيرًا في المنتسبين للاعتزال؛ لأن العقل لا يقبل يا إخوان! لا يقبل أي عقل سليم أن يثبت وجود الرب خياليًا ذهنيًا، ما يقبل.

أنا سأذكر لكم واقعة حصلت معي، كنا في دورة في تركيا مع طلبة العلم، فجاء رجل، وما كنت أعلم أنه يعتقد هذا الاعتقاد، فقال لي: أنت تثبت هذه الصفات، تثبت أن الله له وجه، وأن الله له يد، كما جاء في القرآن يليق بجلاله، هذا يلزم منه تعدد القدماء، قلت له: خلاص أنت ماذا تثبت لله عَزَّ وَجَلَّ؟

قال: لا متصل بالعالم، ولا منفصل بالعالم، ولا يمين، ولا شمال، ولا فوق، ولا تحت، ولا ولا ولا، قلت له: إذًا: لو جاءنا شيوعي الآن ملحد، الشيوعي تعرفون ملحد، فقال لنا: الرب الذي تعبدونه ما صفته؟ كيف تقول له؟ كيف تجيبه؟

لا يمكن الجواب عن هذا الإشكال، لذلك كثير من أبناء المسلمين أيام الاجتياح الشيوعي للعالم الإسلامي تركوا العقيدة، لماذا تركوا العقيدة؟ لأنهم يسمعون مثل هذا الكلام، أن الرب المعبود ليس فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا شمال، ولا موصوف، ولا منفصل، ولا متصل، ولا ولا ولا، يقول: خلاص يا أخي ما دامه لا لا لا إذًا: ليس له وجود في الحقيقة.

كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ في رده علىٰ الجهمية في كتابه الرد علىٰ الجهمية كلمة جميلة قال: إن مثل هؤلاء كمثل رجل يقول: إن في دارنا نخلة، فيقل له: صف لنا هذه النخلة؟ قال: ليس لها أوراق، ولا جذع، ولا خوص، ولا ثمر، ولا طلع، ولا ولا، قال: قل ليس في دارنا نخلة خلاص؛ لأن وجود الشيء مثلما قال الشيخ كلمة جميلة: كل شيء له حقيقة فأقل وصف يتصف به ماذا؟

الوجود، ما يمكن هذا، إذا أثبت له صفة الوجود، وقلت: إن وجوده ليس كوجودنا، فأثبت له باقي الصفات، وقل ليست كصفاتنا انتهت الإشكالية، إذا قلت: إن الله موجود حقيقة، له ذات حقيقة، فقل: له صفات حقيقة، ولكن ليست كصفاتنا، كما أن ذاته ليست كذواتنا.

ولذلك القاعدة هذه قعَّدها الإمام الدارمي، والإمام ابن خزيمة إمام الأئمة الشافعي في كتاب التوحيد، ما هو من كلام ابن تيمية كما يقول الناس اليوم، المعتزلة اليوم يخرجون يقولون: هذا كلام ابن تيمية لا، ابن تيمية أخذه من كتاب نقض الدارمي الإمام المشهور، من أقارن الإمام أحمد، وتلامذته، والإمام ابن خزيمة من تلامذة الإمام البخاري والإمام مسلم النيسابوري إمام الأئمة، هما اللذان قالا: القول في الصفات كالقول في الذات، إذا

كنا نثبت لله ذات حقيقة، ولا تشبه ذوات المخلوقين، فنثبت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صفات ليست كصفات المخلوقين، الصفات التي وردت في الكتاب والسنة.

ثم أيضًا نقول له: أنت أيها المعتزلي أثبت لله صفة القدم، أو صفة الوجود، فهل وجوده كوجودنا، هل قدمه كقدم الشيء العرجون القديم، ماذا سيقول؟ قطعًا سيقول: ليس قدمه كقدم العرجون القديم، قلنا: إذًا: فاثبت لله عَزَّ وَجَلَّ باقي الصفات، وقل: ليست كصفات المحدثين المخلوقين بس، انتهت الإشكالية.

ننتقل أيضًا -أيها الإخوة- إلىٰ مسألة أخرىٰ وهي مهمة، مما يُبنىٰ علىٰ هذ الأصل عند المعتزلة، بنوا علىٰ هذا الأصل بعض الأمور: أن العباد لا يُثابون إلا علىٰ ما يعملون، فنفوا الإثابة علىٰ النية.

مداخلة: ..

الشيخ: نعم.

مداخلة: يجيبون علىٰ الله أنه يحاسبهم بأفعالهم.

الشيخ: نعم هذا سيأتي معنا، لكن الآن بنوا هذه المسألة علىٰ مسألة التوحيد كيف؟ يقولون: العباد لا يُثابون إلا علىٰ ما يعملون، وأصل مبدأ الثواب هو التوحيد، والتوحيد أصله لابد أن يؤخذ بالعلم النظري الذي هو العمل، أما مجرد النية فلا، لماذا؟ قالوا: لأن التوحيد هو علم نظري، تعبد، تصلي، تركع، تسجد هذا هو التوحيد.

مداخلة: والإنسان كذلك يُثاب بعمل غيره؟

الشيخ: لا هم يغلقون هذا الباب.

مداخلة: من هم بحسنة فلم يفعلها.

الشيخ: نعم هم أصلًا يغلقون باب النيات، الحسنات بالنيات، وباب إيصال ثواب الغير لك، مما جاء في الكتاب والسنة، هذا المبدأ الذي هو التوحيد، انتبهوا أيه الإخوة! سؤال مهم جدًا، أنهم قالوا: إن مبدأ التوحيد يكون بالنظر في الأدلة العقلية، فأوجبوا علىٰ الناس النظر والاستدلال في وجود الله عَزَّ وَجَلَّ، ولذلك قالوا: إن العقيدة بالتقليد مردود غير

مقبول، ولازم قولهم هذا تكفير عوام المسلمين؛ لأن عوام المسلمين هل يدركون هذه العقليات؟

بل خواص طلبة العلم ربما لا يدكون هذه العقليات؛ لأننا ندرس التوحيد بالكتاب والسنة ليست بهذه العقليات، فهم يقولون: أول واجب، هم يقولون هذا، كما يقول عامة المعتزلة يقولون: أول واجب علىٰ المكلف هو النظر، وعلىٰ هذا عامة المعتزلة إلا الجاحظ؛ فإنه لم يقل بهذا القول.

مداخلة: ... الأشاعرة.

الشيخ: نعم الأشاعرة بعضهم قالوا: إن أول واجب علىٰ المكلف المعرفة، وبعضهم قال: هو النظر، وبعضهم قال: أول جزء من النظر، وبعضهم قال: القصد إلىٰ النظر، وأنتم كلكم تعلمون حديث معاذ بن جبل أرسله النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ اليمن عام كم؟ عام تسعة، يعني في أخر الحياة، حديث ما هو منسوخ، قال: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُم إِلَيْهِ»، ماذا؟

مداخلة: شهادة أن لا إله إلا الله.

الشيخ: التوحيد، وأرسلهم إلىٰ من إلىٰ مسلمين أو إلىٰ كفار؟

مداخلة: أهل كتاب.

الشيخ: أهل كتاب كفار، ومع ذلك ما قال لهم: إن أول ما جيب أن تخاطبهم به النظر أو القصد إلىٰ النظر أو المعرفة أو أو إلىٰ أخره، فهذه المسألة واضحة.

علىٰ كل حال صرَّح الرازي، وأبو حامد الغزّالي: علىٰ أن الخلاف بين المعتزلة وبين الأشاعرة في مسألة أول واجب خلاف لفظي، وأما أهل السنة فإنهم يقولون: أول واجب هو في المسلم هو إذا كان مسلمًا أول واجب عليه الصلاة، وإذا لم يكن مسلمًا فأول واجب عليه النطق بالتوحيد، واعتقاد التوحيد، لا النظر، ولا القصد إلىٰ النظر.

ننتقل إلىٰ الأصل الثاني من أصولهم، وإنما أقول هذا الكلام -أيها الإخوة-! لأن هذا موجود ترىٰ في اليوتيوب والانترنت هذا كلام موجود تسمعونه.

الأصل الثاني من أصولهم: العدل، العدل كلمة جميلة رنانة، مثل يقول: الربيع، الربيع كلمه جميلة، الحرية كلمة جميلة، دائمًا هكذا، يستخدمون الكلمات الجميلة الرنانة، لكن ماذا وراءها؟ فلنبحث عما وراءها.

البحث عن كملة العدل عند المعتزلة في واقع الأمر هو بحث في أفعال الله عَزَّ وَجَلَّ.

مداخلة: هنا إثبات العدل هنا، من ناحية أنه العدل أنه يعني لا يعذب المشركين أو لا يعذب المؤمنين فيه إثبات عدل؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: هذا إثبات العدل هذا، ولا هذا الكلام ما هو موجود في العدل، لكن ...

الشيخ: ما فهمت سؤالك.

مداخلة: هنا العدل يعني العدل بينهم، ولا لله؟

الشيخ: سيأتي الآن تفصيله، العدل الذي عناه المعتزلة هو بحث في أفعال الله عَزَّ وَجَلَّ، وأفعال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مبني علىٰ إثبات ماذا؟ صفات، طيب ونحن نقول لهم: أنتم ما أثبتم الصفات، فكيف تجعلون العدل أصلًا لكم؟

هذا تناقض؛ لأن من يقول: الله ليس له صفة، كالذي يقول: الله ليس له فعل سواء لا فرق، فإما أن تنقضوا هذا الأصل، وإما أن تنقضوا الأصل له، أحدها لازم هذا مبدئيًا، إذًا: الكلام في العدل عنهم متعلق بالكلام في أفعال الله عَزَّ وَجَلَّ، متعلق في ماذا؟ في أفعال الله عَزَّ وَجَلَّ.

وأنتم تعرفون قصة الإمام أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ لما رجع عن الاعتزال، ما هو سبب رجوعة، ولا لا؟ أبو الحسن الأشعري تربىٰ من كان عمره خمس سنوات، إلىٰ سن الأربعين عند زوج أمه، أبي علي الجبائي، وكان من رؤوس المعتزلة، فيقولون: أنه حضر مناظرة بين أبي علي الجبائي وبين أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب حضر مناظرة.

تعرفون أن العدل عند المعتزلة يجب علىٰ الله أن يفعل كذا وكذا، طيب أنتم ما تثبتون الفعل لله كيف تقولون: يجب؟ هذا تناقض قلنا.

فقال الخصم لأبي علي قال له للجبائي قال له: إن اثنان أخوان ماتا، أو ثلاثة قال: ماتوا، أحدهم كبير وكان كافرًا، والأخر صغير ومات بين المسلمين، والثالث مجنون ومات، فما حكم هؤلاء؟

فقال أبو علي الجبائي: يجب أن يعذب الكافر، ويجب أن لا يعذب الصغير، ولا يعذب المجنون، فقال له خصمه: يا أبا علي لما أوجبت عليه ذلك؟ قال: لأن العدل يقتضي ذلك، قال: فإن قال الكافر الذي أوجبت له دخول الجنة أي ربي لما عذبتني وأدخلتني النار، وأدخلت فلان أخي الصغير الذي مات الجنة.

فقال أبو علي للجبائي: لأن الله يقول له: لأنك عشت كبيرًا فكفرت فاستحققت دخول النار، فقال: فيقول له: إذًا لما أبقيتني؟ كان يجب عليك أن لا تبقيني حتىٰ أدخل مع أخي إلىٰ الجنة، فما دام أبقيتني فأنت الملام.

قال: فسكت أبو علي الجبائي ولم يحل جوابًا فاعتزل أبو الحسن الأشعري من تلكم اللحظة زوج أمه، وأتجه إلىٰ طريقة ابن كلاب، وألف في هذا الطور الذي كان مدة أربع سنوات ألف فيها مؤلفات، وكان قبل ذلك ألف مؤلفات، ثم لما جاء إلىٰ بغداد، والتقىٰ بتلامذة الإمام أحمد قام خطيبًا وخلع رداءه، وقال: أيها الناس إني أنخلع عما كنت عليه، وأدين الله عَزَّ وَجَلَّ بعقيدة إمام الأمة، الإمام المبجل أبي عبد الله أحمد بن حنبل.

هذا الذي عند المعتزلة يقولون: العدل مرادهم يجب علىٰ الله أن يفعل كذا، ويجب علىٰ الله أن لا يفعل كذا، انتبهوا لهذه المسألة، إذًا: عندهم أمران:

أحدهما: في كلمة العدل يندرج عند المعتزلة، هذه العبارة لعلنا نقرأها للزمخشري، يقول أو قبل ذلك القاضي عبد الجبار يقول: أما الأصل الثاني من الأصول الخمسة، وهو الكلام في العدل، وهو كلام يرجع إلىٰ أفعال القديم، من القديم عندهم؟ الله جل وعز، وما يجوز عليه، وما لا يجوز فذلك أو جبنا تأخير الكلام في العدل عن الكلام في التوحيد.

وقال الزمخشري: لا إله إلا الله، لا إله إلا تلك الذات المتميزة، وهذا هو التوحيد، ثم ذكره ثانيًا بعدما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل، يفسر الآية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ

إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨].

فهو يفسر يقول: لا إله إلا تلك الذات المتميزة، ثم ذكره ثانيًا بعدما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل، للدلالة علىٰ اختصاصه بالأمرين كأنه قال: لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين، ولذلك قرن به قول: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨]، لتضمنهما معنىٰ الوحدانية والعدل، إذًا: هو يريد أن يثبت أن هناك صفة التوحيد وصفة العدل.

ثم قال: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ١٩]، المراد بهم: أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، واختلافهم أنهم تركوا الإسلام، وهو التوحيد والعدل، إذًا: العدل له منزله عندهم، يقول: ﴿أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ١٩]، خالفوا الإسلام، وهو التوحيد والعدل هكذا يقولوا.

وقال ابن أبي الحديد في قوله المنسوب لعلي: فإن حق الله عليكم والموجبة علىٰ الله حقكم، يريد أنها واجبة عليكم، فإن فعلتموها وجب علىٰ الله أن يجازيكم عنها بالثواب، وهذا تصريح، هذا كلام ابن أبي الحديد، يقول: وهذا تصريح يعني من علي بمذهب المعتزلة في العدل، وأن من الأشياء ما يجب علىٰ الله تعالىٰ من باب الحكمة، حتىٰ خلوا علي بن أبي طالب خلوه معتزلي علىٰ اعتقادهم، لذلك هم في سلسلة نسبهم يأخذون الاعتزال يسلسلونها إلىٰ علي قاتلهم الله.

وقال أيضًا: وسُئل عن التوحيد والعدل فقال: التوحيد أن لا تتوهمه، والعدل أن لا تتهمه، هذا ينسبوه لعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فقال ابن أبي الحديد شارحًا: هذان الركنان هما ركنا علم الكلام، وهما شعار أصحابنا المعتزلة بنفيهم المعاني القديمة التي يثبتها الأشعري وأصحابه ولتنزيههم الباري سبحانه عن فعل القبيح.

إذًا فمراد المعتزلة بالعدل: هو أنه تعالىٰ لا يفعل القبيح ولا يختاره، ولا يخل بما هو واجب عليه، وأن أفعاله كلها حسنة.

فنستطيع أن نقول خلاصة بعد النظر إلىٰ عبارات كثيرة: أن العدل الذي عناه المعتزلة مرجعة إلىٰ أمرين:

الأول: أنه لا يفعل القبيح، ولا يريده.

والثاني: أنه منزه عن الإخلال بما هو واجب.

إذًا: نعيد مرة ثانية ما هو العدل عندهم أمران:

أحدهما: تنزيه أفعال الرب عَزَّ وَجَلَّ عن القبيح، وإرادته القبيح فلا يريد القبيح.

الثاني: تنزيهه عن الإخلال بما هو واجب عليه.

والذي يهمنا هنا -أيها الإخوة-! هو بيان المراد بالعدل عندهم، فاتضح أنهم يريدون بالعدل ما يتعلق بأفعال الله عَزَّ وَجَلَّ، لكن يدخلون في هذا الباب أفعال العبد، لماذا يدخلون أفعال العبد؟

قالوا: إن فعل العبد فيه القبيح، فالله لا يريد القبيح، إذًا: هذه وقعت بلا إرادة من الله، ولا خلق من الله، ولا إيجاد من الله، كلام خطير وعجيب، عجيب من ناحية أنه مُلبس بالحق، وخطير لما يترتب عليه من كلام.

المعتزلة لم يُفرقوا بين الإرادة الشرعية اللازمة لحب الله لها، وبين الإرادة الكونية التي لا تلزم المحبة فجعلوا الباب واحدًا، فظنوا أن كل مراد لله محبوب، والله لا يحب الفواحش ولا القبائح، قالوا: إذًا: هذه وقعت بلا إرادة منه، فكان في ملكه ما لا يريد جل في علاه، ووجد من المخلوقات مخلوقات مصنوعات ليست لله.

إذًا: كأنهم يقولون: حتىٰ أن في قوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون: ١٤]، يقول: إذًا: فيه خالقين مع الله- تعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرا- هذا مثل الذي يقول: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ [فصلت: ٤٦]، يقول: يمكن يظلم شويه- أعوذ بالله- هذا فهم لا يفهمه إلا من تلوث عقله.

فإذًا: هذا هو مرادهم من أن الله لا يفعل القبيح ولا يريده، بمعنىٰ إذا قلنا: طيب الله لا يفعل القبيح نحن متفقين علىٰ هذه المسألة، الله هذه قاعدة عند أهل السنة: الله جل في علاه ليس في فعله قبيح أبدا، لكن هل الله جَلَّ وَعَلَا لا يكون في مخلوقاته قبح؟

لا، الله خلق القبح كما خلق الحسن، انتبهوا، الله ليس في فعله شر محض، لكن في مخلوقاته شر، نعم، هذه مفعولات، هذه قواعد عند أهل السنة، أهل السنة يقولون: لا يقع في كون الله إلا ما يريد، إما إرادة شرعية، وإما إرادة كونية، لا يمكن أن يقع غير هذا، هذه مسألة مهمة يا إخوان! لابد أن نعتقدها، وأن نعلم الناس؛ لأن الناس اليوم مع الأسف كثير منهم اليوم نفاة القدر، يقول: لا، الله لم يخلق أفعالنا، إذا الله لم يخلق أفعالك، إذًا أنت الذي خلقت؟!

والله في القرآن يقول: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦]، وما تعملون، وفي القرآن آيات كثيرة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

والخطيب كل يوم ماذا تخطبون تقولون كل جمعة ماذا تقولون؟ لا هادي لمن أضل، ولا مضل لمن هدىٰ، أيضًا من يهدي الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، هم يقولون: هم ما يريدون تقولوا: ومن يضلل؛ لأنه ما يصير، ما يصير تقولوا: ومن يضلل، لماذا؟ قال: هذا يلزم منه القبيح، يا مساكين! لو أن هذا اللازم للقبيح هو ليس مرادًا للإرادة الشرعية، هو مراد الإرادة الكونية.

وأنا أذكر مثالًا لتلامذتي، ولكم أنتم يا إخواني! وإن شاء الله لا تنسون هذه المسألة، لو أن ولي الأمر الآن وضع كاميرات، في كاميرات الخطوط السريعة ولا لا؟ ماذا تفعل؟ تصور، في بعض الكاميرات هناك كاميرات تراك المرور في الإدارة الرسمية، في الإدارة الرسمية شافوك أنت أسرعت، وأسرعت، وكلما أسرعت صوروك صوروك، الآن أنت أسرعت وصورتك الكاميرة بإرادتك ولا بإرادتهم؟

بإرادتك صح؟ مالكم قطعًا بإرادتك، طيب هم رأوك، ولو أرادوا أن يوقفوك أوقفوك ولا ما أوقفوك؟ إذًا: بإرادتهم أيضًا، فإرادتك لم تخرج عن إرادتهم، يا أخي هذا مخلوق أنت لا تستطيع أن تخرج من إرادته، لو أرادك أن يوقفك عند أول إشارة تعديتها لأوقفك، لكن تركك قال: خليه يدفع الغرامات، خليه يزود، يا أخي رب العالمين جَلَّ وَعَلَا يمهل العبد، يترك العبد، هو يقدر ولا ما يقدر؟ سبحان الله يا أخي، هؤلاء عجيب والله.

ماذا قال الله عن يوسف ماذا؟ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]، أراه الله البرهان لماذا يا إخوان لماذا؟ ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

فلذلك يقول العلماء: كن مُخلِصًا تكن مُخلَصا صح؟ الله جَلَّ وَعَلَا يستطيع أن يمنع، لا يريدك أن تنظر إلىٰ المحرمات يصيبك بالعمىٰ، ولا لا؟ لا يريدك أن تسمع المحرمات يصيبك بالصمم، لا يريدك أن تغتاب يشل لسانك ما تستطيع تتكلم، كثير من الناس الآن يصاب بجلطة في اللسان ولا لا؟ أعاذنا الله وإياكم.

-يا إخوان- الإنسان العاقل يدرك أن الله عَزَّ وَجَلَّ له إرادة كونية عامة، ماذا قال الله عز وجل؟ ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ [الشعراء: ٤]، قادر ولا ما هو قادر؟ وهؤلاء المعتزلة يقولون: إن الله لا يقدر علىٰ أحسن مما هو كائن -عياذًا بالله-.

طيب والجنة، الجنة أين راحت، الجنة أحسن من هذا الف مرة، ما في مقارنة أصلًا لكن هذه أقوالهم يا إخوان ماذا نفعل؟

يقول عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة يقول: أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وإنهم هم المحدثون لها، الله ما خلقها يقول.

وقال في كتابه المغني في أبواب العدل والتوحيد تحت العنوان الكلام في المخلوق قال: اتفق كل أهل العدل علىٰ أن أفعال العباد من تصرفهم، وقيامهم، وقعودهم حادثة من

جهتهم، يعني: الله ما خلقه، نسأل الله السلامة والعافية، ثم قال: ومن قال: إنه سبحانه خالقها فقد عظم خطئه، عجيب والله من الذي خلق هذا الفعل، والله سبحان الله.

أهل السنة والجماعة كما تعلمون ماذا يقولون يا أيها الإخوة! طيب المهم أن مرادهم بالعدل أحد هذين الأمرين.

هنا لعلنا، يعني: أتعدىٰ بعض الأشياء، وفي النهاية سأعطيكم مذكرة بالكامل إن شاء الله، لكن ليس كل ما أقول مكتوب علىٰ كيفك عاد، نعم، هنا في رد علىٰ أصولهم هذا، الوجه الأول، والثاني، والثالث والرابع نتركه.

طيب هنا -أيها الإخوة- في الختام، أذكر لكم ما يترتب علىٰ مسألة العدل بالمسائل الأخرىٰ عندهم:

أولًا: مما يترتب علىٰ مسألة العدل من المسائل، وجوب الأصلح علىٰ الله.

ثانيًا: القول بأن القرآن مخلوق، فهو من فعل الله عندهم.

ثالثًا: القول بوجوب بعثة الرسل.

رابعًا: القول بأن الرزق الحرام ليس رزقًا من الله، فما ندري هذا الذي يأكل مخلوق من؟ سبحان الله.

نكتفي بهذا.

وصلَّ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الرحيم الرحمن، أحمده سبحانه الكريم المنان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يغفر لمن يشاء، وهو جَلَّ وَعَلَا الغفور الغفار، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله البشير النذير، صلىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وصحبه، ومن سار علىٰ نهجه، وأقتفىٰ أثره إلىٰ يوم الدين.

وبعد:

نبدأ اليوم معكم أيها المشايخ الفضلاء، والأئمة النجباء، نبدأ معكم الأصل الثالث من أصول المعتزلة المنزلة بين المنزلتين، وإن كان في بعض كتب المعتزلة يجعلون هذا الأصل هو الأصل الرابع؛ ذلك لأنهم يقدمون إنفاذ الوعد والوعيد، ويجعلونه الثالث؛ لأنهم يرون أن إنفاذ الوعد والوعيد متعلق بعدل الله، ولكن حينما ننظر إلىٰ أن المنزلة بين المنزلتين ينتج عنه إنفاذ الوعيد فتقديمه أولىٰ.

الأصول الخمسة عند المعتزلة: التوحيد، وقد بيّناه، والعدل، واليوم المنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، ثم غدًا إن شاء الله الأصل الخامس مع بعض صور التأثر بهذا الفكر في هذا العصر الحديث وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

من نافذة القول أن الأصل الأول والثاني كما ذكرنا يقولون: إنهما أصلان عقليان، التوحيد والعقل، أما الأصل الثالث والرابع والخامس فيزعمون أنها أصول نقلية، وأنتم لا يخفىٰ عليكم، ولا علىٰ جميل علمكم أن أهل الإسلام أصولهم كلها نقلية غير مخالفة للعقل، أصول الإسلام الخمس، فنحن نقول: إن أصول الدين وفروعه كله نقلي، كذلك أصول الإيمان.

وإن تعجب فاعجب من بعض المنتسبين إلىٰ أبي الحسن الأشعري حيث يقول: بأن التحسين والتقبيح أمر شرعي فحسب، عكس قول المعتزلة، الذين يزعمون أن التحسين والتقبيح عقلي فحسب، ثم نجد هذا المنتسب لأبي الحسن الأشعري نجده يقول أشياء هي من قبيل العقل، ويزعم أن باب التوحيد، أو باب الإيمان بالله، وباب إثبات الرسالات

بابان عقليان هذا تناقض، كيف تقول إن الحُسن والقبح لا يُعلمان إلا من جهة الشرع، ثم تريد أن تثبت وجود الله بالعقل؟

تريد أن تثبت وجود الرسالات بالعقل، ولذلك لابد أن ندرك أن الحق في هذه المسألة، وهي مسألة التحسين والتقبيح، أو مسألة إدراك الإلهيات، المسائل الإلهية إدراك النبوات، إدراك ما يجب وما يمتنع، وما يجوز علىٰ الله جَلَّ وَعَلَا هذه المسائل الصواب فيها والقول الحق فيها، هو ما ذهب إليه عامة أهل السنة: أن الشيء في نفسه يدل علىٰ حسنه النقل والعقل، ولكن قد تخفىٰ علىٰ العقل بعض المسائل ولكن العقل لا يحيلها.

مثلًا: لو سألنا أي إنسان صيني لا يفهم شيء من النقل قلنا له: الكذب حسن ولا قبيح ماذا سيقول؟ قبيح علىٰ طول، لو قلنا لرجل نصراني: الوفاء بالعهد ترونه حسن أو قبيح، ماذا سيقول؟ حسن.

فهناك مسائل العقل لا ريب أنه دل علىٰ حسنه كما دل عليه النقل، فإهمال أحدهما، يعني: أحد الأمرين: إذا أهملنا النقل فمعناها أن الأصول كلها لابد أن تكون ماذا؟ عقلية، وإذا قلنا: بإهمال العقل فمعنىٰ هذا أنه لا باب ولا مدخل للعقل في مسائل أصول الدين البتة، فكيف بعد ذلك تقولون: إن مسائل الإلهيات، أو مسائل إثبات الرسالات مسائل عقلية؟! تناقض واضح.

أما أهل السنة والجماعة فإنهم يقولون: إن أصول الإيمان نقلية، وأصول الإسلام نقلية، ولكنها لا تخالف العقل، يمكن الاستدلال عليها بالعقل؛ كما جاء في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ الدلالات العقلية، سواء كانت هذه الدلالات العقلية دلالة السبر والتقسيم: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]، هذا دليل السبر والتقسيم.

أو دليل التمانع علىٰ ألوهية الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقد أخطأ المعتزلة، وبعض المنتسبين لأبي الحسن الأشعري في استدلالهم بالآية فظنوها دالة علىٰ ربوبية الله، هي دالة علىٰ ربوبية الله، لكن ليست بطريق

المطابقة؛ لأن الآية: لو كان فيهما آلهة، ولا لو كان فيهما خالقًا؟ آلهة، إذًا: الكلام عن الألوهية عن العبادة، فإذا انتفىٰ أن يكون ثَمَّ معبود غير الله، فلا يمكن أن يكون ثَمَّ خالق غير الله؛ لأن المعبود هو الخالق، والخالق هو المعبود.

ولهذا نحن نقول -أيها الإخوة-! إن مسائل الاعتقاد، أصول الإيمان، أصول الإسلام هذه نقلية، ولكنها لا تخالف العقل، فإذا جئنا نبحث عن الإيمان بالله، عن الإيمان بالرسل، نثبتها بدلالة النقل، وليس عندنا مانع نثبت ذلك بدلالة العقل، لكن نقول: العقل له حد معين.

العقل كما تعلمون دلالة العقل مقتصر علىٰ ماذا؟ مقتصرة علىٰ أبوابها، أبواب العقل النظر، الشم، السمع، الحس، واللمس، هذه أبواب العقل، أيضًا العقل إنما يستدل بالقياس، وقياس الغائب علىٰ الشاهد قد يكون صدقًا، وقد يكون كذبًا، فهي قضية تحمل الصدق والكذب معًا، إلا في حالة واحدة: أن يكون الغيب عين الشهادة، أما إذا كان مثله فكيف يستدل؟

لذلك -أيها الإخوة-! هذه مسألة عظيمة ومهمة جدًا أن ندرك ونقول للناس: أيها الناس اتقوا الله، وأنتم أئمة مساجد لابد أن تكونوا ممن يدعون الناس إلىٰ أصول الإسلام، وأصول الإيمان التي جاءت في الكتاب والسنة، ما هو الأصول التي دعت إليها الناس بعقولهم، فإذا كان هناك أصول خمسة عند المعتزلة هناك أصول أخرىٰ عند الناس.

ما مراد المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين؟ سؤال مهم.

المراد بهذا الأصل -أيها الإخوة-!: هو أن الإنسان العاصي عندهم ليس بمسلم، ولا كافر، يقولون: خرج من أهل الإسلام، ولم يدخل مع الكفار، فصار في برزخ بين البرزخين، في موضع بين موضعين، في حكم بين حكمين، وذلك أنهم يقولون: إن الفاجر أو الفاسق يجري عليه بعض أحكام أهل الإسلام، ويجري عليه أحكام الكافرين في الآخرة.

نقرأ بعض عباراتهم ثم نعلق عليها، يقول الزمخشري: والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة، وهو النازل بين المنزلتين، أي: بين منزلة المؤمن والكافر، وقالوا: إن أو من حد له هذا الحد، يعني: عرَّف الفاسق بأنه في منزلة بين المنزلتين، من أول من وضع.

مداخلة: الواصل بن عطاء.

الشيخ: أحسنت، وقالوا إن أول من حد له هذا الحد أبو حذيفة واصل بن عطاء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعن أشياعه، هذا كلام الزمخشري، ثم قال: وكونه بين بين، أن حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح، ويوارث، ويغسل، ويصلىٰ عليه، ويدفن في مقابر المسلمين.

مداخلة: ماذا بقي؟

الشيخ: انتبه ماذا بقي؟ وهو كالكافر في الذم، واللعن، والبراءة منه، واعتقاد عداوته، وأن لا تُقبل له شهادة، ثم قال: وفي الآخرة هو في النار مُخلد، هذا تناقض الآن ولا ما هو تناقض؟

يعني: أنت في الدنيا الآن تعامله معاملة المؤمن، تزوجه ويزوجك، تصلي وراءه، ويصلي وراءك، وتدفنه في مقابر المسلمين، ثم فجأة إذا مات تغيرت الأحكام، عجيب وغريب، هذا قول الزمخشري في الكشاف.

وقال أيضًا في موضع أخر قال: كيف ذكر الله المؤمنين الأبرار، والكفار، ولم يذكر الفسقة، وهذا سؤال وارد؟ الله جَلَّ وَعَلَا في القرآن يذكر حال المؤمنين، ويذكر حال الكافرين، ويسكت عمن بينهم.

قلت هذا كلام الزمخشري: كان الناس حينئذ، يعني: في زمن نزول القرآن، كان الناس حينئذ إما مؤمن تقي، وإما مشرك، وإنما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك، يعني: أن المخزومية كأنها ما سرقت، ما أدري لماذا الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قطع يدها؟

طيب والذي أقام النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حد ماعز، والغامدية، والذي قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنيس «أُغْدُوا إِلَىٰ امْرَأَةِ هَذَا فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَأَقِمْ عَلَيْهَا الحَد».

إذًا: هذه المسألة يا إخواني! عجيب منهم وغريب.

ما جوابنا إذا سألنا سائل: لماذا الله يذكر حال المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر: ٥٤-٥٥]، ويذكر حال الكافرين: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ [القمر: ٤٧-٤٨]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٥﴾ [الانشقاق: ٢٥]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٣٩]، ما مصير الفاسقين؟

لذلك -أيها الإخوة!- يقول جمع من المفسرين يقولوا: حتىٰ ترك الأمر لأنه ذكر الكمال للناجين، وذكر الهلاك للكافرين، ومن بينهما فينبغي عليه أن يلحق بأولئك فترك الأمر تخويفًا.

ولهذا قال من قال من السلف قال: نظرت إلىٰ القرآن فوجدت الله يذكر صفات المتقين فلم أجد نفسي فيها، هذا من تواضعهم، قال: ووجدت أن الله يذكر صفات الكافرين فلم أجد نفسي فيها، فقالوا له: رحمك الله فأين أنت؟ قال: أرجوا أن أكون من الذين قال الله فيهم: ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢]، نعم هذا حال المؤمن.

مداخلة: ... قال: أنا أعتبر أن السنة مكملة للقرآن ومفسرة له، وهذا الأمر ورد في السنة بالتفصيل، بأن المؤمن الذي يرتكب الكبيرة فهو إلىٰ مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه ... في النار، ثم لا يكون مصيره الخلود في النار كالكافر.

الشيخ: طبعًا هذا في نص القرآن يا شيخ ليس بس بالسنة.

مداخلة: طيب يعني: المؤمن لا يخلد في النار، موقفه محدد يعني؟

الشيخ: سيأتي الرد عليهم إن شاء الله نعم، موقف الفاسق في القرآن محدد ما في كلام، موقف الفاسق في القرآن محدد لكن أين؟ هنا ولا هنا الله أعلم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، هذا متعلق بالمشيئة، ما دام أنه متعلق بالمشيئة، فأنت لا تستطيع أن تقول: أنه من أهل الجنة، أو من أهل النار، ما الذي ستقوله؟

تقول كما قال الإمام الطحاوي: نرجو للمحسن، ونخاف علن منهم، يعني: من أهل الإسلام، لكن كما تفضلت جاءت النصوص من السنة النبوية مُبينة، وموضحة وشارحة كما سيأتي، أن المسلم وإن مكث في النار كما قال عمر: أعداد رمل عالج لكاد له يوم يخرج من النار، هذا ما فيه شك.

يقول القاضي عبد الجبار، ولنسمع.

مداخلة: في سورة السجدة: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠﴾ [السجدة: ٢٠].

الشيخ: لا لا نحن ما جئنا إلىٰ الرد إلىٰ الآن ولا التفصيل، بس نذكر الآن أقوالهم، هم يقولون: ما في إلا قسمين: يا إما مؤمن في الجنة، وإما كافر في النار، ما عندهم شيء اسمه فاسق في الدنيا والآخرة، نحن عندنا في شيء اسمه فاسق في الدنيا، وفاسق في الآخرة، عندنا هذا الشيء، ولا عندنا بس فاسق في الدنيا، طيب عندنا، عندنا صحب كبيرة في الدنيا، وعندنا صاحب كبيرة في الآخرة، هذا موجود عند أهل السنة والجماعة، لكن نحن الآن في صدد، يعني: تفصيل قولهم فقط، يقولون: الناس قسمان ما في ثلاثة، في الآخرة إما مؤمن، وإما كافر.

طيب وأهل الكبائر، قالوا: أهل الكبائر كلهم مع الكفار، لماذا؟ إذا قلنا: لماذا ما دليل أدلتكم؟ فهذا سياتي إن شاء الله.

قال القاضي عبد الجبار، انتبهوا لكلمة المنزلة بين المنزلتين يقول: إن المنزلة بين المنزلتين لغة إنما تُستعمل في شيء بين شيئين قال: منجذب إلىٰ كل واحد منهما بشبه، أما في اصطلاح المتكلمين، من يقصد المتكلمين؟

الفلاسفة المناطقة، المتكلمين الذين، كلمة المتكلمين الذين يتكلمون في الاعتقاد بالطريقة المنطقية، ولذلك هم يسمون الاعتقاد ما يسمونه توحيد، إيمان، يسمونه علم الكلام؛ لأنه مبني علىٰ الكلام.

وأخطأ أبو الكلام في حواشيه عن المنتهي حيث زعم أنهم سموا بعلم الكلام؛ لأن أول مسألة وقعت هي مسألة كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، هذا خطأ؛ لأن وجود الخوارج قبل وجود مسألة كلام الله عز وجل، وجود التشيع والرفض قبل وجود مسألة خلق القرآن، فهم سموا بعلم الكلام، سموا علمهم علم الكلام؛ لأنهم كما قال الشهرستاني في مقدمة كتابه قال:

نهايـــة إقـــدام العقـــول عقـــال وغايـــة ســـعي العـــالمين ضـــلال

ولـــم نســـتفد طـــول عمرنـــا ســوىٰ أن جمعنـا فيـه قيـل وقـالوا

فلذلك يعني: علم الكلام من هذا الباب.

يقول القاضي عبد الجبار: أما في اصطلاح المتكلمين فهو العلم بأن لصاحب الكبيرة اسمًا بين الاسمين، وحكمًا بين الحكمين، هذا كلام القاضي عبد الجبار.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه علىٰ نهج البلاغة: وهكذا يقول أصحابنا إن تارك العمل، وتارك الواجب لا يسمىٰ مسلما.

إذًا: الآن لاحظوا الفسق عندهم من جهتين: إما من جهة ترك الواجب، وإما من جهة فعل المحرم، فمن ترك واجبًا يكفر عندهم، ومن فعل محرمًا يكفر عندهم، لكن حتىٰ نكون منصفين إذا كان هذا المحرم من الكبائر، أما الصغائر فوقع بينهم نزاع، بعضهم يرىٰ: أنه يكفر بالصغائر، ولكن عامة المعتزلة علىٰ أن الصغائر لا يفسق بها العبد.

ويقول أيضًا ابن أبي الحديد أيضًا يقول في عبارة أخرىٰ له يقول: إن تارك العمل، وتارك الواجب لا يسمىٰ مسلمًا بل يلحق بالكافرين، يعني: في الآخرة.

الآن نريد أن نعرف، لماذا هم يقولون السؤال مهم، ما هو أصل المنشأ؟ لماذا هم يقولون: بأن مرتكب الكبيرة كافر؟ هذا السؤال مهم، هل لحرصهم علىٰ الدين؟ لا، ليس هذا هو المقصد، ولذلك تجد فيهم أناس حتىٰ لا يصلون، هم يذكرون عن بعض أساطينهم، أنه لا يعرف لا بجمعة ولا بجماعة، هم يقولون هذا، وهذا مشاهد حتىٰ اليوم.

المعتزلة قالوا بهذا المأخذ بناء علىٰ أصل قولهم: أن الإيمان شيء واحد، ما هو؟ قالوا: العمل الواجب، هذا هو الإيمان مع الإقرار، فمتىٰ ما ترك شيئًا من الأعمال الواجبة فهي غير قابلة للتجزؤ الأعمال غير قابلة للتجزؤ، فإذا ترك المكلف شيء واجبًا واحدًا كأنما ترك الأعمال كلها، فمثله مثل الكافر، الكافر ترك أعمال الإسلام كلها إقرارًا وأعمالًا فله كافر، فمن ترك شيئًا من الواجبات ترك الإيمان، وإذا ترك الإيمان يكفر، هذا أصل مأخذهم.

لذلك أقول -أيها الإخوة!- اختلفوا فيما بينهم، يعني: هذا النصاب في الأعمال، هل هذه الأعمال هي أصول، هل الأعمال أصل في الإيمان؟ وهل هذه الأعمال تتجزأ أو لا تتجزأ؟ فعند أبي علي الجبائي وابنه أبي هاشم، الأعمال فعل الواجبات، وترك الممنوعات، ومن ترك شيئًا من ذلك خرج من الإسلام، شيئًا واحدًا.

وعند أبي الهُذيل، والقاضي عبد الجبار فعل الطاعات واجبة كانت أو مندوبة فهي من الإيمان، فعلىٰ أي حال لا يخرج مسمىٰ الإيمان الشرعي عن فعل القلب، وفعل الجوارح، سواء كان فعل اللسان وهو الإقرار، أو غير فعل اللسان وهو العمل بالطاعات.

الآن نريد أن نضبط أصل المسألة، يقول صاحب كتاب دستور العلماء، يقول: ووجه الضبط أن مسمىٰ الإيمان الشرعي، ما هو مسمىٰ الإيمان الشرعي؟ يقول: ووجه الضبط أن مسمىٰ الإيمان الشرعي إما بسيط، وإما مركب، وإن كان بسيطًا فهل هو شيء واحد عبارة عن الصدق أو الإقرار، أو عبارة عن شيئين صدق ومواطأة، أو عبارة عن ثلاثة

صدق، ومواطأة، وإقرار، وإن قلنا: إنه مركب فهل هذا التركيب يكون من الأعمال والاقرار، وهل الأعمال كلها أجزاء فيها، أو أصل كل عمل بعينه؟ كلام طويل.

أقرأ لكم نص العبارة، يقول: ووجه الضبط أن مسمىٰ الإيمان الشرعي إما بسيط، يعني: شيء واحد، وإما مركب، وعلىٰ الأول، أي: كونه بسيطًا، إما تصديق فقط بجميع ما جاء به النبي وهو المختار؛ لماذا قال وهو المختار؟ لأنه ماتوريدي، وهذه عقيدة الماتوريدية وهو عقيدة لبعض الأشاعرة، أن الإيمان هو التصديق، من صدق فهذا هو المؤمن، وهذا كلام يلزم منه لوازم فاسدة عظيمة، أنتم أعلم مني بها.

الذي يقول: الإيمان هو التصديق، يلزم منه لوازم فاسدة، يلزم منه أن الذي يصدق بأن الله هو رب العالمين أنه، طيب إبليس ما يصدق بأن الله رب العالمين؟ بل يؤمن بالصفة، يقول: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص: ٨٢]، يعرف أن لله عزة، وماذا قال الله عن فرعون: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، ماذا قال أبو طالب؟

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دين

لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني بذاك سمحًا مبينا

يوجد عنده علم، فهذه مسألة مهمة -أيها الإخوة!- أن ننتبه، يقول: أو إقرار باللسان بجميع ما جاء به النبي فقط بشرط مواطأة القلب، وهو مذهب الرقاشي والقطان، أو بدون اشتراط تلك المواطأة، يعني: باللسان فقط، تصديق مع اللسان فقط، وهو مذهب الكرامية، مذهب الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني، السجستان حاليًا تسمىٰ بلوجستان، وهي واقعة في ثلاثة دول بعضها في إيران زائدان، وبعضها في باكستان، وبعضها في أفغانستان، مركزها في أفغانستان في منطقة يقال لها: يلمن.

وعلىٰ الثاني، الإيمان علىٰ الثاني الذي هو المركب: إما مركب من أمرين؛ أي: التصديق المذكور والإقرار، وهو مذهب أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ، لكن أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ هم ينسبونه لهذا الشيء حتىٰ يوافق مذهبهم، وإلا فهو رجع عن هذا كما نقل ذلك ابن أبي العز الحنفي في شرحه علىٰ الطحاوية، رجع عن هذا القول.

وكثير من الأشاعرة، الأشاعرة أيضًا كثير منهم يقول: الإيمان التصديق والإقرار، طبعًا الإقرار أمر زائد عن التصديق، حتىٰ يخرجوا من صدق ولم يقر.

أو مركب من ثلاثة أمور الأمرين المذكورين التصديق والإقرار، والعمل بالأركان، ثلاثة أشياء صاروا، ثم العمل بالأركان إما جزء للإيمان الكامل، وهو مذهب جمهور المتكلمين والمحدثين والفقهاء الشافعي رَحِمَهُم اللهُ، وغيرهم، وهذا كلام حق، الذي عليه الأئمة الأربعة، أبو حنيفة في أخر عهده كما نقله ابن أبي العز، والإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ، والإمام الشافعي، والإمام أحمد كلهم علىٰ هذا الاعتقاد، أن الإيمان تصديق وإقرار، وأيضًا عمل بالأركان، ولكنهم يخالفون المعتزلة كيف؟ قال: وإما أن الأعمال جزء لأصل الإيمان وهو مذهب الخوارج والمعتزلة.

إذًا: ندرك هنا أن المسألة منشأ المسألة بين المنزلة بين المنزلتين، منشأها أصل الإيمان ما هو؟ أهل السنة حينما قالوا: الأعمال هو الإيمان، أو بعبارة أصح، الإيمان يساوي العمل، ماذا قصدوا بكلمة العمل، قصدوا بكلمة العمل، عمل القلب، عمل اللسان، عمل الجوارح.

لما أهل السنة يقولون: الأعمال من الإيمان ماذا يقصدون بكلمة من؟ من ليس معناه الأعمال من الإيمان، أنها جزء غير مؤثر، كما يقوله مرجئة الفقهاء، لا، لما يقولون: الأعمال من الإيمان ليس معنىٰ قولهم: الأعمال من الإيمان، أي: أن الأعمال كلها أصل، فذهاب جزء منها ذهاب للإيمان كما يقوله المعتزلة والخوارج، إذًا ما معنىٰ من؟

(من)؛ هنا بيانية، الأعمال من الإيمان، ثم نبين ما نوع العمل، إما أن يكون أصل في الإيمان، وإما أن يكون من واجبات الإيمان، وإما أن يكون من مكملات الإيمان، فأهل السنة يُفرقون، لا ينظرون إلىٰ الأعمال كلها، نظرة واحدة، وإنما ينظرون إلىٰ نوع العمل.

-فمثلًا- الإقرار بالشهادتين، وعدم الاتيان بما يخالفه، أصل في الإيمان، فمن قال: لا إله إلا الله ثم نقضها، قال: لا إله إلا الله ثم قال: يا عيسىٰ! المدد، هذا نقض، هذا لا ينفع؛ لذلك هم يقولون: هناك أعمال هي أصل في الإيمان، وأعمال من واجبات الإيمان،

وأعمال من مكملات الإيمان، وبهذا خرجوا عن إشكالية الخوارج والمعتزلة، الخوارج واضحين، الخوارج يقولون: من وقع في كبيرة كفر، خلاص نقطع رأسه نريح الأمة منه.

مداخلة: الله يستر.

الشيخ: الله يستر علينا من سيوفهم، سيوفهم حدادة، علىٰ طول يشوفون الرجال ما وافقهم يقطعون رأسه.

مداخلة: يا دكتور في أعمال هي أصل في الإيمان.

الشيخ: أعمال هي أصل في الإيمان، وأعمال هي من واجبات الإيمان، وأعمال هي من مكملات ومستحبات الإيمان؛ لأن الإيمان عند أهل السنة ما هو؟ انتبهوا الإيمان عند أهل السنة إما إيمان كامل، وهذا الذي فيه أصل الإيمان، واجبات الإيمان، مكملات الإيمان، وإما إيمان فقط، فهذا الذي عنده أصل الإيمان، وعنده واجبات الإيمان، وإما عنده أصل الإيمان فهذا هو المسلم.

يعني: عندنا نحن ثلاث طبقات، مثل الثلاث الدرجات نرتقي، فلو سقط من الدرجة الأولىٰ علىٰ الثانية هل سقط علىٰ الأرض؟ ما زال علىٰ الثانية، إذًا: نزل من الإيمان الكامل إلىٰ الإيمان الواجب، وإذا ترك الواجبات وفعل المحرمات، نزل من الإيمان الواجب إلىٰ أصل الإيمان، متىٰ يخرج من أصل الإيمان؟ إذا أتىٰ بما يناقض أصل الإيمان، المسألة واضحة عندنا.

لذلك نحن نقول لهؤلاء مثلما قال الشيخ: مناقشة المعتزلة في هذا الباب مناقشتهم سهلة جدًا، أنت فقط اسأله سؤالًا واحدًا، قل له أنت تزعم العقل، لو أن إنسانًا مسلمًا أتىٰ بكبيرة واحدة عندك فهو يكفر، طيب نعكس السؤال، لو أن كافر عمل بجميع أعمال الإيمان، ولكنه لم يقر بالإيمان هل عندك كافر أو مسلم؟

فإن قال: كافر، إذًا: علمنا أن الإقرار غير مؤثر، إن قال: لا، مسلم نقض نفسه، فلما لم تدخل الكافر مع وجود شعب الإيمان عنده، شعب الإسلام فيه، عمل بأعمال الإسلام كلها إلا الإقرار بالتوحيد، قال: هذا ما ينفعه.

طيب لماذا الرجل الذي عنده الإقرار بالتوحيد ضره العمل، القضية فردية عكسية ولا ما هي واضحة؟ يعني الآن عندنا نحن نقول: المسلم عنده الإقرار بالتوحيد، كيف جعلتموه كمن ليس عنده الإقرار بالتوحيد، في الآخرة كيف؟ هذه مسألة مهمة.

لذلك -أيها الإخوة!- يقول البغدادي في كتابه الفَرق بين الفِرق، يقول: اتفق، يعني: المعتزلة علىٰ دعواهم في الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين، وهي أنه فاسق علىٰ مؤمن ولا كافر.

ومن دقق في كتب التاريخ وفي كتب المعتزلة علم أن هذه المسألة لا يختلفون فيها، أن المرتكب للكبيرة هو في منزلة بين المنزلتين، لكن تناقضهم يظهر من جهتين كما ذكرت:

الجهة الأولىٰ: أنه معه الإقرار الذي هو التوحيد ومع ذلك أخرجوه من الإسلام، ولم يدخلوا ذاك الكافر الذي معه جميع أعمال الإسلام إلا الإقرار لم يدخلوه في الإسلام، فإذا كنتم أنتم تخرجون المسلم؛ لأجل أن فيه شعبة من المعاصي، فالآن لماذا ذاك الرجل ما أدخلتموه في الإسلام؟

قالوا: لا ما عنده الإقرار، إذا هذا الرجل عنده الإقرار لماذا تخرجونه؟ قالوا: عنده المعاصي، فإن المعاصي غير مؤثرة، بدليل ذلك الرجل ليس عنده المعاصي وما أدخلتموه.

الوجه الثاني أيضًا هذا مهم جدًا: أننا نسألهم سؤالًا مهمًا، لماذا أنتم حكمتم علىٰ فُسَّاق أهل الإسلام بأنهم في الدنيا منزلة بين منزلتين؟ قالوا: لأنه بكبيرته فسق، قلنا: نحن نوافقكم أنه فسق بكبيرته، لكنه لما فسق لماذا؟ الآن سؤال مهم، لماذا الإسلام لم يأمرنا أن ندعوه إلىٰ الإسلام، وأمرنا أن نقيم عليه الحد؟

وهم يوافقوننا علىٰ الأصل انتبهوا! يوافقوننا علىٰ ماذا يا مشايخ يا كرام! يوافقوننا علىٰ أن مرتكب الكبيرة لو تاب من كبيرته فإنه مسلم، إذًا: تاب من كبيرته صار مسلم بدون أن يقول: لا إله إلا الله؟ أي نعم بدون أن يقول: لا إله إلا الله، تناقض عجيب.

مداخلة: ما خرج أصلًا.

الشيخ: ما خرج أصلًا إذًا: كلامك صحيح؛ لأنه لو كان خرج لكان يجب عليه أن يلقي الشهادتين، يقر بالإسلام من جديد، هذا تناقض واضح عندهم.

أما يعني: نريد أن نقول: هناك شخص اسمه زهدي جار الله، كتب عن المعتزلة مع الأسف الشديد، لما ناقش حول هذه القضية، جعلها قضية يقول عنها: لا يخرج هذه المسألة عن مسألة فقهية أخلاقية، ليس لها قدر كبير من الأهمية، سبحان الله، كيف الآن هم يحكمون؟

من يستطيع أن يقول: ما عند معاصي من يا إخوان؟! من يستطيع أن ينفي عن نفسه أنه ما يغتاب أحد من؟ الغيبة كبيرة بإجماع المسلمين ولا لا؟ طيب من يستطيع أن ينفي عن نفسه أنه ما اغتاب؟ يا أخي علىٰ الأقل لو جلست مع زوجتك راح تقول لك: فلانه سوت كذا، خلاص وقعت ولا ما وقعت؟

من بقي معنا من أهل الإسلام علىٰ قولكم، كلام خطير يا إخوان! كيف تقول: إنها قضية فقهية أخلاقية؟ ما هي قضية فقهية أخلاقية، قضية مترتب عليها أمور، من هذه الأمور المترتبة علىٰ هذه القضية أنهم يقولون: إن هذا الرجل الذي فسق بكبيرته لو كان حاكمًا أو سلطانًا فلا سلطان له ولا حكم له، كما سيأتي في قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي مرتبة علىٰ هذه القضية.

من هذه المسائل التي ترتبت علىٰ هذه القضية أنهم يقولون: بأن الفاسق مُخلد في النار، من هذه المسائل المترتبة علىٰ هذه القضية بقولهم: بالمنزلة بين المنزلتين، أنهم يقولون: بتزكية أنفسهم؛ لأنك إذا سألته أنت الآن ما عندك معاصي؟ لم يستطع يقول: عندي معاصي، لو قال عندي معاصي حكم علىٰ نفسه بالكفر، فلذلك تجده دائمًا يقول: أنا مؤمن كامل، هذه مصيبة عظيمة.

من أعظم ما استدل به الخوارج علىٰ تكفير مرتكب الكبيرة، مما استدلوا بإخراج مرتكب الكبيرة من الإيمان، الآيات التي تدل علىٰ أن مرتكب الكبيرة فاسق، مثلما ذكر الشيخ

بعض الآيات، مثل آية قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦٧]، قال ماذا؟

المنافقون هم الفاسقون، والفاسقون هم المنافقون، والفاسقون هم الكافرون، والكافرون هم الظالمون، والظالمون هم الكافرون، فأعظم دليل استدلوا به في هذا الباب أنهم قالوا: إن مرتكب الكبيرة أليس فاسقًا، قلنا: بلىٰ، أليس ظالمًا؟ قلنا: بلىٰ، أليس جائرًا؟ قلنا: بلىٰ، أليس طاغيًا؟ قلنا: بلىٰ، قال: بس، جاء وصف الطغاة بأنهم في النار، وصف الجائرين بأنهم في النار، وصف الظالمين بأنهم في النار، جاء وصف الظالمين الفاسقين بأنهم في النار، فكيف أنتم تقولون: إنه في الأخرة ليس في النار؟! هذه هي يعني: عقدتهم، وأحسن من يرد عليهم خصومهم، خليك أنت مرتاح.

من خصومهم في هذا الباب؟ المُرجئة، المُرجئة ماذا قالوا؟ قالوا: الأعمال كلها ليس من الإيمان، ما هو الإيمان عندكم، قالوا: الإيمان عندنا الإقرار، أو التصديق، أو المعرفة، بس خلاص.

طيب قلنا لهم يا جماعة والأعمال؟ قالوا: الأعمال هذه لا تؤثر علىٰ الإيمان، لا الإيمان يزيد ولا الإيمان ينقص، حتىٰ قال قائلهم كما كتاب نور الظلم من عقائدهم، يقول: إن إيمان أفسق الخلق، كإيمان أتقىٰ الخلق، هذا موجود ترىٰ مكتوب في الكتب، نسأل الله السلامة والعافية.

بل يقول بعضهم: إن إيمان آحاد الأمة كإيمان أبي بكر وعمر، ووصل الطغيان من بعضهم حتىٰ أدعىٰ أن إيمان آحاد الأمة كإيمان جبريل وميكائيل، والله من الغرائب العجيب.

بأي شيء استدلوا؟ استدلوا بالآيات التي فيها أن المقر بالله الموحد أنه في الجنة، قالوا: بس خلاص، فأخذوا الآيات والأحاديث، والآيات والأحاديث التي فيها بيان أن الموحد في الجنة قالوا: بس خلاص شوفوا كيف؟ إذًا: الأعمال ما تؤثر، فأخذوا الآيات التي فيها رد علىٰ المعتزلة فردوا عليها، وقد أحسن المعتزلة إذ أدخلوا الأعمال في مسمىٰ الإيمان، وأساءوا في إخراج فاعل الكبيرة من الإسلام.

وأحسن المُرجئة إذ قالوا: بأن مرتكب الكبيرة بأنه مآله في الجنة، أحسنوا في هذا، لكنهم أساءوا في إخراج الأعمال من مسلمها، وأهل السنة كما تعلمون يجمعون بين، ماذا قال علي بن المديني رَحِمَهُ اللهُ؟

علي بن المديني تعرفونه، شيخ البخاري، أكبر شيخ له، حتىٰ قال عنه: ما استصغرت نفسي إلا عند علي بن المديني، قال: الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين لك خطئه، لابد نجمع الأدلة كل الأدلة التي جاءت مثلما تفضل الشيخ، والسنة النبوية الشارحة للكتاب موضحة هذه المسألة وضوحًا لا يمكن أن يلتبس إلا علىٰ من لا عقل له، مجنون بس، وإلا فإن السنة طافحة في أن مآل الكافرين النار أبدًا، ومآل الفاسقين الجنة وإن مكثوا في النار.

وأشهر حديث في هذا تعرفونه، حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال: «مَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»، **قال أبو ذر: قلت يا رسول الله! وإن زنا وإن سرق، قال:** «وَإِنْ زَنَا وَإِنْ سَرَقَ»، حديث معروف عنه، في البخاري معروف، تعرفون ماذا يقولون عن هذا الحديث؟

قالوا: الحديث محمول علىٰ أنه إذا تاب، ترتب علىٰ هذه المسألة أن نقول لهم: إذًا لماذا الميزان، ما دام الناس مؤمنين كافرين، لماذا الميزان؟ قالوا: ما في ميزان، أنكرت المعتزلة الميزان، قلنا: لماذا الناس إذًا يأتون إلىٰ الحوض؟ أنكروا الحوض.

نعم، تأملوا الآن كيف؟ قالوا: غير موجود في القرآن، وما دام غير موجود في القرآن لا نقبله، ما دام أنه غير موجود في القرآن لا نقبله، قلنا لهم: طيب أنتم تنكرون –مثلًا– أشياء غير موجودة في القرآن، يأجوج ومأجوج موجود في القرآن لماذا تنكرونهم؟ قال: لا يأجوج ومأجوج ما ننكر، بس يأجوج ومأجوج، يعني: جراثيم، هذه مصائب.

لما هؤلاء تقرأ عليهم الأحاديث يقولون أحد أمرين: إما أن يقولوا أحاديث آحاد، وإما أن يقولوا: أن هذا الحديث للتائبين، وأحسن واحد فيهم جوابًا عن هذا أنه سيقول لك: إن الحديث وإن ثبت وإن دل علىٰ ذلك فإن المقصود به التائبين.

طيب وحديث الشفاعة سؤال مهم الآن ماذا نفعل بأحاديث الشفاعة؟ ولذلك العلماء نصوا علىٰ أحاديث الشفاعة في كتب الاعتقاد؛ لأنها متواترة لفظًا، بل قال جمع من المحدثين حديث الشفاعة متواترة لفظًا، ومنهم من قال: معنًا، «أَخْرِجُوا مِنَ النَّار مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَان».

وأنا أسألكم سؤال: بالله عليكم! هل هناك حاكم عاقل، إذا كان يوجد من رعيته من يخالف أوامره، ماذا يفعل فيه يسجنه ولا لا؟ طيب، وإذا مسك شخص ليس من رعيته وعليه حكم ماذا يفعل به؟ يسجنه، انتهىٰ محكومية هذا، وانتهىٰ محكومية هذا، ماذا يفعل بالأول وماذا يفعل بالثاني؟ أجيبوا.

مداخلة: سيضم ... رعيته، والثاني يقوم بطرده.

الشيخ: يقول له: روح بلادك، أحسنت! يا أخي هذا حاكم الناس، ما دام أنه انتسب إليه لن يقول له: مع السلامة، يقول لمن مع السلامة؟ لمن لا ينتسب إليه، هذا الرجل يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإن عذبه الله يجعله مع المشرك في النار.

يعني: حتىٰ أنتم يا جماعة يا أيها المعتزلة تدعون العقل من الناحية العقلية غير ممكن، هذا ابنك الذي هو ابنك، والله لو عصىٰ مهما عصىٰ تعاقبه تضربه بعد يومين تضمه، طيب لو ضربت إنسان في الشارع، والله لا تهتم فيه، وإن كنت من أرحم الناس يمكن تتوجع يوم يومين ثلاثة أربعة، شهر سنة سنتين بعدين تنساه، يا أخي هؤلاء الذين عندهم التوحيد هم أبناء الآخرة ليس أبناء الدنيا، كيف يجعلهم الله كأبناء الدنيا؟ لا يمكن.

لذلك -يا أيها الإخوة!- نقول: إن الأدلة من السنة النبوية متواترة علىٰ إثبات الشفاعة، وإنكارهم للشفاعة من طوامهم، أنكروا شفاعة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شفاعة الشهداء، شفاعة الملائكة، شفاعة الصلحاء، والعلماء لأهل الكبائر من أمة محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنكروا أن يكون إنسان يدخل النار ثم يخرج، أبدًا هذا لا وجود عندهم.

قالوا: الذي يدخل النار لا يخرج، لماذا؟ قال: لأن الله قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٩]، طيب ما قرأتم: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، لماذا لا تجعلون إلا ما شاء الله في حق الموحدين؟ كان المفروض، علىٰ الأقل أن تجمعوا بين الآيات والأحاديث، هذا يعني بهذا القدر نكتفي؛ لأن الأصل هذا فاسد، وفساده معلوم لديكم.

ننتقل للأصل الرابع: وهو إنفاذ الوعد والوعيد، وهذا كما ذكرت مرتب علىٰ الأصل الذي ذكرناه.

إذا قلنا: أن الرجل الذي فسق في الدنيا يقولون عنه: مجرم، يقولون عنه: أنه فاسق، ولكنه يناكح، ويزوج، ويتزوج منه وهو إلىٰ آخره، في الآخرة قالوا عنه: كافر، لماذا قلتم عنه كافر؟

من أسباب قولهم، من الأسباب التي دفعتهم إلىٰ القول بأنه كافر، يقولون: إن إنفاذ الوعد والوعيد واجب علىٰ الله، هذه المسألة راجعة إلىٰ مسألة العدل، ما يجب علىٰ الله، وما لا يجب علىٰ الله.

ولا ابن حزم تعرفون ابن حزم لسانه شوية ماذا؟ حاد، فيقول: وأي عقل عندكم إذ توجبون علىٰ الله كذا، وتوجبون عليه أن لا يفعل كذا، ما عندكم عقول يقول: أما عندكم عقول!.

إنفاذ الوعد والوعيد الوعد كما هو معلوم إنما يكون بالثواب، والوعيد إنما يكون بالعقاب، وهم يذكرون هذا الأصل لبيان وجوب إنفاذ الوعد والوعيد، فيقولون: إن ما وعد الله به المؤمنين واجب النفاذ، وما توعد الله به الكافرين والفاسقين واجب الوقوع؛ لأن ذلك هو العدل.

يقول الشهرستاني رَحِمَهُ اللهُ: واتفقوا أن المؤمن إذا خرج من الدنيا علىٰ طاعة وتوبة، استحق الثواب والعوض، والتفضل معنىٰ أخر وراء الثواب، طبعًا هذه أيضًا نحن نخالفهم فيها، نحن نقول: إن المؤمن إنما يستحق من الله عَزَّ وَجَلَّ الثواب والجنة تفضلًا، وهم يقولون: لا، واجب، معاوضة نسأل الله السلامة والعافية.

ثم قال الشهرستاني: وإذا خرج -طبعًا هو ينقل قول للمعتزلة، ولا هو ليس منهم- وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها يقول: استحق الخلود في النار، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار، وسموا هذا النمط وعدًا ووعيدا، إذًا ما هو الوعد؟ وجوب إدخال المؤمنين الجنة علىٰ الله- تعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرا.

مداخلة: ...

الشيخ: أي والله يا شيخ، يعني كيف لعبد يقول: يجب، أنا أقول للطلاب، أقول: هذا مثالهم مثل لو جبنا سيارة وقامت تتكلم، يقول لك: يا شيخ عليك أن تفعل كذا، يجب عليك أن لا تفعل كذا، أنا الذي صنعتك، وأنت توجب عليّ تكسره، سبحان الله العظيم!

إذًا: -أيها الإخوة!- المعتزلة من حيث التجويز العقلي اختلفوا فيما بينهم، هل يجوز علىٰ الله عقلًا أن يغفر لأهل الوعيد أو لا؟

هذا وقع فيه خلاف علىٰ مقالتين: فأجاز بعضهم ذلك ومنهم الجبائي، وأنكره أكثرهم قالوا: ذلك مخالف للعقل، من حيث التجويز العقلي، وإلا واقعًا فكلهم متفقون علىٰ أن أصحاب الوعيد لابد من نفاذ الوعيد عليهم، وعدم استئخاره، وعدم، يعني: الخُلف فيه؛ لأن الخُلف فيه كذب، والكذب لا يقع في وعد الله عز وجل.

يقول القاضي عبد الجبار: أما أن يخالف في أصل الوعد والوعيد، وهذا المخلف يعتبر من المخالفين لليس للمعتزلة فقط، وإنما هو مخالف لنبوة محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: الذي يخالف الوعد والوعيد هو مخالف لنبوة محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الزمخشري في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٧]، قال: إعلام بوجوبها عليه كما يجب علىٰ العبد بعض الطاعات- أعوذ بالله- والله يعني: سوء أدب حتىٰ من الناحية العقلية، أنتم تقولون: الله ننفي عنه الصفات حتىٰ لا نشبهه بخلقه، وأنتم الآن شبهتم الله، شبهتم ما يجب علىٰ الله، بما يجب علىٰ العبد، أين العقول؟! كيف هذا الكلام؟!

ولذلك يقول بعض العلماء: المعتزلة نفاة في باب الصفات، مشبهة في باب الأفعال، كيف مشبهة؟ ينظرون في أحوال المخلوقات، ما الذي يجب في حق العقل؟ ما الذي لا يجب في العقل؟ فما وجب في حق العقل أوجبوه علىٰ الله، وما لا يجب في حق العقل لم يوجبوه علىٰ الله – تعالوا علىٰ ذلك علوا كبيرا – أمر غريب وعجيب.

ويتكلم المسعودي عن وجوب الوعد والوعيد عند المعتزلة فيقول: وأما القول بالوعيد فهو أن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر إلا بالتوبة، وإنه لصادق في وعده ووعيد لا مبدل لكلماته، فزعموا أن الذي يقول: إن الله يمكن أن يغفر لأهل الوعيد يسمونه ماذا؟ يسمونه مُكذبًا لله، انتبه، يسمونه مكذبًا لماذا؟ يقول: لأن الخبر إذا وقع فيه الخلد كان كذبًا، يقول: هذه مقدمة صحيحة لكنها ناقصة.

دائمًا المشكلة في الكلام الناقص، والكلام تتمته، أن الخبر إذا كان خبراً مجردًا فإن الخُلف فيه كذب، أما إذا كان خبراً بمعنىٰ الوعد، خبراً متضمن الوعد، فهو خبر وحث، إذا كان خبر بمآل الوعيد، فهو خبر وتخويف، فأحدهما يمكن أن يقع فيه الخُلف.

أنت الآن حينما تعد ابنك تقول: إن ذهبت إلىٰ البقالة سأعطيك دينارًا، الآن هذا خبر منك لكنه مشروط إن ذهبت، طيب لو قلت خبراً بدون شرط، لكنه يصبح مثل المشروط، لما تقول: ذهب زيد إلىٰ البقالة فاستحق الدينار علىٰ ذهابه، هذا وعد.

الخُلف في الوعد، يقول العلماء ومنهم الإمام ابن الأعرابي رَحِمَهُ اللهُ يقول: الخلف في الوعد مذموم، والخُلف في الوعيد كرم، خُلف الوعيد كرم ممن يقدر، أنت الآن حينما تقدر علىٰ إنسان، ومع ذلك تتجاوز عنه هذا كرم، لذلك ماذا قال الله عَزَّ وَجَلَّ؟

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [المائدة: ٣٤]، في فرق بين إنسان تقدر عليه، وإنسان ما تقدر عليه في فرق في الأحكام، فالله القادر علىٰ إنفاذ وعيده إذا لم ينفذ وعده في حق عباده، يفعل ما يشاء: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣]، جل في علاه.

مداخلة: وعندي إذا وعدته أو واعدته لمنجز.

الشيخ: لمنجز وعده.

مداخلة: ...

الشيخ: نعم.

مداخلة: وعندي إذا أوعدته، أو واعدته لمنجز وعدي.

الشيخ: لمنجز وعدي.

مداخلة: لمنجز في عهد ومنجز موعدي، هذا منجز في عهد في الشرط والوعد منكر.

الشيخ: هذا كلام معروف عند العرب، أنهم يعدون الخلف في الوعد مذمة، والخلف في الوعيد من القادرين ممدحة وممدوحة، ويعدون ذلك كرمًا، ولذلك لما مسك الحجاج رجل من الأعراب، مسكه وهو يتكلم فيه، قال: ماذا تظن أني سأفعل فيك؟ قال: كريم مثلك لا يكون منه إلا خير فأطلقه، سبحان الله، هذا الحجاج الظالم.

أهل السنة -أيها الإخوة!- وسط في باب وعيد الله جَلَّ وَعَلَا بين الوعيديه الخوارج، والمعتزلة وبين المرجئة، كيف وسط؟ الناس يتكلمون عن الوسطية، خلونا نعرف وسطية أهل السنة؛ لأن المرجئة ماذا قالوا؟

المرجئة قالوا: إن أصحاب الكبائر حالهم كحال أصحاب الإيمان الكمل ما في فرق، كأنهم لا يقرأون هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، في أي سورة؟ فاطر، دل علىٰ أن الله فطر الخلق كذلك أصناف، هكذا أصنافًا وهم أهل ميراث الكتاب، أهل الإسلام الذين ورثوا الكتاب من الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا خبر الله عز وجل.

فأهل السنة وسط في باب وعيد الله عَزَّ وَجَلَّ بين الوعيديه والمرجئة لماذا، ماذا قالوا؟ قالوا أهل السنة قالوا: لا نقول بقول المرجئة لا يضر مع الإيماني ذنب، ولا نقول ما بقول الخوارج والمعتزلة: لا يضر مع المعصية طاعة، إذًا ماذا يقولون؟

يقولون: إن الإيمان ينقص بالذنوب، وإن الإيمان يزيد بالطاعات، فعندهم أن الأعمال، عند أهل السنة أن الأعمال داخلة في مسمىٰ الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن مرتكب الكبيرة ممن معه أصل الإيمان، مرتكبو الكبائر معهم أصل الإيمان، لماذا؟ لأن أهل السنة عندهم فرق بين من يقر بالشيء ثم يخالفه، وبين من لا يقر بشيء، في فرق عظيم.

أنا سأسألك الآن سؤالًا واقعيًا، وأنتم كلكم تعرفون هذه الأمثلة أحسن مني، لو أن إنسان تطلبه بدين، كلما ذهبت إليه تقول له: ديني، يقول: إن شاء الله، حاضر، بإذن الله، ويتأخر عن الموعد، هذا عندك أحسن، ولا الإنسان الذي أعطيته دينًا، تجيء تقول له: أعطني، قال: خاف الله متىٰ أخذت دين منك، ما في فرق بين الاثنين يا إخوة؟

والله في فرق واضح جلي بين من يقر ثم يخالف، وبين من لا يقر أصلًا، فالمذنب وهو يذنب، المسلم الذي يذنب، وهو يذنب يقول: يا ربي مغفرتك.

كما يقول والدي رَحِمَهُ اللهُ عن أحد مشايخه، يقول: كان شيخ كبير من علماء الفقه، لكنه ابتلي نحن نسميها التتن، أنتم تسمونها الشيشة، فكان الطلاب أحسوا منه هذا الشيء، فأرادوا أن ينصحوه بطريقة، فذهبوا بعض الطلاب إلىٰ بيت الشيخ، قالوا: يا أماه! شيخنا ماذا يقول وهو يشرب الشيشة؟

قالت: إنه يقول: يا غفور يا غفار، يا رحمن يا رحيم، فقالوا: له خلاص، إذا جاء ويشرب الشيشة، قولي له وهو يشرب، إذا قال هو: إنه رحيم رحمن، قولي: وهو القهار، فجاء الشيخ خلص الدرس دخل البيت، قال: يا فلانه جيبي الشيشة، جابت الشيشة المسكينة، وحطته، فإذا به يأخذ ويريد أن يقول: يا غفور، قال: وهو القهار، قال: فرمىٰ بالشيشة ومن ساعتها تاب إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر:٤٩-٥٠]، سبحان الله يا أخي، والله أهل السنة عقيدتهم واضحة، واضحة جلية ما في أي إشكال عندهم.

ولذلك -يا أيها الإخوة!- أهل السنة وسطيتهم ليس فقط في الاعتقاد، كما يظن بعض الناس، وسطيتهم في الاعتقاد، في التعامل، في الأخلاق، في العبادات في كل شيء، والله هذا يحتاج إلىٰ مؤلفات عظيمة لجلاء هذا الشيء، تأملوا معي أن المعتزلة هم أكثر من عشرين فرقة، كل فرقة تُكفر الأخرىٰ، أهل السنة ما كفروهم.

مداخلة: لقد دخلوا في النيات.

الشيخ: أي نعم دخلوا في النيات، أهل السنة من انصافهم ورحمتهم بالخلق ما كفروهم، مع أن عندهم كفريات؛ لأنهم أوَّلوا، وباب التأويل منع منهم الكفر، وهم عندهم لا ما في شيء مانع للكفر، أصلًا المعصية بذاته كفر.

فأهل السنة يقولون: إن مرتكب الكبيرة عنده إقرار بالذنب، ولهذا ما الفرق بين مستحل للذنب، وبين مرتكب الكبيرة، غير المستحل؟ الفرق أن مستحل الذنب يقول: ليس بذنب.

من قال: أن الربا حرام، الربا ليس حرام، هذا مستحل، فرق عظيم ترىٰ، وبين من يقول: لا، والله أنا أعرف أن هذا حرام، أن الغيبة حرام، بس ماذا نفعل؟ كلما جئت أريد أتوب إلىٰ الله، وهو حتىٰ وهو يذكره لك، يقول: الله لا يؤخذنا بس فلان سوىٰ كذا كذا صح ولا لا؟ هذه موجودة، تسمعها في بعض المجالس، يقول: بدون أن نغتاب بس أنه سوىٰ كذا كذا، أنت اغتبت خلاص وقعت، في فرق بين المسألة.

لذلك -يا أيها الإخوة!- نقول: مرتكب الكبيرة إذا لم يستحل عند أهل السنة مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، لو قال: أنه قال: في أي سلم تضعونه، مرتكب الكبيرة الفاسق، أهل الإيمان الكمل، نقول: لا هذه عند المرجئة، تخرجونه من الإسلام نقول: لا هذا عند الخوارج والمعتزلة، إذًا أين تضعوه؟

نقول: نضعه في أصل الإسلام، فإن نزع ارتفع إلىٰ أهل الإيمان الواجب، وإن أحسن ارتقىٰ إلىٰ أهل الإيمان الكامل، هذا موجود عليه دليل من الكتاب والسنة، فالله قسم:

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢]، أصل الإيمان عنده: ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [فاطر: ٣٢]، أهل الإيمان الواجب: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، أهل الإيمان الكامل.

لذلك -أيها الإخوة!- هذه الآية أعيت المعتزلة، آيتين في سورة النساء أعيت المعتزلة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فحاصوا وماصوا، وجاصوا، وأرادوا أن يجيبوا عن هذه الآية فقالوا: إن المراد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، قالوا: إذا لم يتب.

طيب الإنسان إذا تاب من الشرك، الله ما يتوب عليه؟ إذًا: هذه الآية ليس المقصود بها القضية هنا صح ولا لا؟ لو كانت القضية قضية التوبة لما كان للشرك وجه الاستثناء، بدليل قوله جَلَّ وَعَلَا في سورة الزمر: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤]، حتىٰ الشرك في الآية يغفره الله، لماذا؟

لأنه قال جميعًا، لكن بشرط: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]، فما دام في إسلام في إيمان كله مغفور، فلما استثنىٰ هنا الشرك، علمنا أن القضية ليست قضية توبة.

مداخلة: في سورة الأنفال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

الشيخ: هذا أيضًا فيه أنهم إذا تابوا ماذا؟ يغفر لهم الشرك، إذًا الآية هذه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، فاستثنىٰ الشرك ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦]، فماذا فعل بعضهم ماذا قالوا؟

قالوا: إنه لما ارتكب الكبيرة أشرك، كيف أشرك؟ والله قالوا هكذا، موجود في بعض كتبهم، منصوص، قالوا: ما من صاحب كبيرة إلا وقع في الشرك كيف؟ قال: لأنه عبد

هواه، طيب عبد هواه، كيف يكون هو الآن نقول أنه عبد هواه، وهو في نفسه معترف بتقصيره؟ كيف عبد هواه؟

لو كان يعبد هواه، الهوىٰ يقول لك هذا شيء زين، ما قال لك: أنا لست قصر، نقول لذلك، يعني: سؤال وجيه ترىٰ: الخوارج والمعتزلة يكفرون أصحاب الكبائر، ويسمون ذلك منهم شركًا، يلزمهم أن يُكفروا كل صاحب بدعة؛ لأن كل مبتدع اتبع هواه من أوضح من صاحب الكبيرة؛ لأنه ابتدع في الدين: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١]، فبعضهم التزم هذا، وكفر كل من خالفهم، كما هو حال الخوارج، وبعضهم لم يلتزم هذا كما هو حال بعض الخوارج وبعض المعتزلة.

المعتزلة -أيها الإخوة!- سترون تحت هذه المقالة، مقالة إنفاذ الوعد والوعيد، القول: بأن مرتكب الكبيرة مُخلد في نار جهنم، بوجوب إنفاذ الوعد، كيف نرد علىٰ هؤلاء؟

الرد عليهم سهل جدًا:

الأول: أننا نقول: إن أهل الكبائر معهم الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ، الإيمان بالملائكة، الإيمان بالكتب، الإيمان بالرسل، الإيمان باليوم الأخر، الإيمان بالقدر، ما الذي فقدوه من أركان الإيمانظ ما الذي ناقضوه من أركان الإيمان؟ ما الذي ناقضوه من أركان الإسلام؟ سبحان الله العظيم كيف أخرجتموه من الإسلام.

ثم أيضًا نقول: إن قولكم بأن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، يلزم منه أن أمه محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي أقل الأمم؛ لأن ليس هناك أحد معصوم، إلا من عصمهم الله، ومن يستطيع أن يقول: أنا ما ارتكبت كبيرة، أنا لست كذا، يقول: لا، نحن لا نرتكب الكبائر، نحن نُزكي أنفسنا، ثم يقول: وإذا فعلنا نحن نتوب، طيب كيف تتعلم أنك تتوب قبل أن تموت؟ كم من الناس يموتون فجأة، ماذا تقول عنه؟

ثم نرجع عليهم الكرَّة بطريقتهم، نقول لهم: أنتم قلتم بوجوب شيء علىٰ الله وهو الأصلح، هناك إنسان يمرض، فيعلم أنه يموت فيتوب، الآن إنسان مريض بسرطان،

وقال له الأطباء: أنت وصل السرطان عندك إلىٰ النهاية- أعاذنا الله وإياكم من سيئ الأسقام- فقال الرجل: ما دام أنا ميت ميت أتوب إلىٰ الله، ماذا تقولون عنه؟

قالوا: توبته مقبولة، طيب إنسان أخر صدمته السيارة ومات، ما مداه يتوب، لماذا الله لم يتركه ويمهله؟ علىٰ قولكم أنتم بالوجوب علىٰ الأصلح، ناقضتم أنفسكم.

فلذلك -أيها الإخوة!- أهل البدع دائمًا متناقضين.

هذه خلاصة مذاهب الناس في حكم مرتكب الكبيرة.

ونقول أيضًا: من المسائل المبنية علىٰ مسألة الحكمة والتعليل، وجوب الأصلح الذي أشرنا إليه أمس، فأشير هنا إشارة.

أقول إن القول الأول في مسألة وجوب الأصلح:

القول الأول: قول من ينفي الحكمة مطلقًا، يقول: ما في حكمة، ولا تعليل، ولا يجوز أن يقول: بوجوب الأصلح علىٰ الله، وهو قول الجهمية والأشعرية.

القول الثاني: قول من يثبت الحكمة، ولكن يقولون: إنها تعود إلىٰ العباد فقط، والله ليس في أفعاله ما يتعلق بالحكمة، وهذا قول المعتزلة، ولكنهم يوجبون علىٰ الله ما هو حكيم بالنسبة لمتعلقات العباد.

القول الثاني وهو قول عامة أهل السنة: فهم يثبتون الحكمة لله سبحانه وهذه الحكمة تتضمن أمرين عظيمين:

الأمر الأول: حكمة تعود إليه سبحانه حيث يحبها ويرضاها، ولذلك يفعل جَلَّ وَعَلَا ما فيه الحكمة، ويقول ما فيه الحكمة.

ثم الأمر الثاني: أن في قوله وفي فعله حِكَمٍ تعود إلىٰ العباد، هي نعمة من الله عليهم يفرحون بها، ويتلذذون بها.

هذه ثلاثة أقوال نعم.

مداخلة: نريد أن نعرف المدارس في بلاد المسلمين التي تتبنىٰ الفكر المعتزلي، وأثر ذلك في الوضع الحالي، وكيف يعني ... الأئمة والفقهاء والدعاة ...

الشيخ: هذا إن شاء غدًا قلنا نحن، نتكلم غدًا عن قضيتين:

القضية الأولىٰ: عن الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

القضية الثانية: المدارس والأفكار المعتزلية المنتشرة اليوم، بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ بشيء من التفصيل.

ننتقل أيضًا -أيها الإخوة!- إلىٰ قضية مهمة جدًا، وهي مما يترتب علىٰ مسألة إنفاذ الوعد والوعيد:

أيضًا الأول: إنكارهم الشفاعة، قال الإمام أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ: أنكرت المعتزلة شفاعة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل الكبائر، ولابد أن ندرك أن إنكار المعتزلة لشفاعة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المقصود منها الشفاعة لأهل الكبائر.

ويؤيد ذلك قول القاضي عبد الجبار: إن شفاعة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما هي للتائبين من المؤمنين وليست للعصاة، هذا قول القاضي عبد الجبار، طيب ما دام تائب لماذا يحتاج إلىٰ شفاعة؟ سؤال غريب وعجيب، التائب من الذنب كمن لا ذنب له، لماذا يحتاج إلىٰ شفاعة؟

أيضًا من المسائل المترتبة علىٰ مسألة إنفاذ الوعد والوعيد: جعلهم الفساق مثل الكفار مع إقرار الفساق بوحدانية الله، وألوهية الله، ومباني الإسلام، ومباني الإيمان، إلا أنهم ألحقوهم بالكفار.

أيضًا من المسائل المتعلقة بمسألة إنفاذ الوعد والوعيد أنهم يقولون: بأن الوعيد كالوعد ملزم، ولم يُفرقوا بين الخبر الذي يكون في الوعد، وأنه يلزم من خلفه الكذب، وبين الخبر الذي تضمن التهديد، وقد يحسن خلفه لكرم ونحوه.

الرابع من المسائل المتعلقة أيضًا بإنفاذ الوعد والوعيد: القول بإنكار الموازين والحوض والصراط ونحو ذلك.

هذا ما تيسر اليوم إن شاء الله، نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجعل ما قلناه حجة لنا، ولا علينا، وأن يعلمنا ما ينفعنا.

وصلَّ اللهم وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، أحمده سبحانه ولي الصالحين المتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، ومن سار علىٰ نهجه، واقتفىٰ أثره إلىٰ يوم الدين.

وبعد:

فهذا هو اللقاء الأخير في مدارستنا لأصول مذهب المعتزلة، وقد وصلنا عند الحديث عن الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم نتكلم بعد ذلك إن شاء الله جَلَّ وَعَلَا عن علاقة المعتزلة بالخوارج، ثم نختم الحديث عن أثرهم علىٰ الفرق ووجودهم.

لا يخفىٰ علىٰ جميل علمكم، وشريف اطلاعكم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شعائر الإسلام، وذلك لأن المسلم يحب الخير للغير، ويحب إيصال الخير إلىٰ الغير بأحسن طريقة، وأقوم سبيل؛ لذلك الله عَزَّ وَجَلَّ انتدب فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وفي صحيح الإمام مسلم من حديث أبي سعيد قال: سمعت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَف الإِيْمَان».

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شعائر الإسلام، ولكن أهل السنة لأنهم ينزلون أحكام الشرعية منزلتها لم يجعلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أركان الإسلام، ولا من أركان الإيمان؛ لأن الركن إذا ذهب يذهب الشيء كما هو معلوم.

ولذلك فرَّق الفقهاء رَحِمَهُم اللهُ بين الركن وبين الواجب، وبين المندوب، والمستحب في الصلاة، فقالوا: من ترك ركنًا عامدًا أو ناسيًا أو جاهلًا بطلت الصلاة ما لم يأتي بها، أما لو ترك واجبًا فإنه يمكن له أن يجبرها بسجود السهو، أما لو ترك مندوبًا أو مستحبًا فلا شيء في ذلك.

ولذلك أهل السنة لم يقولوا: بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مباني الإسلام الخمس، ولا من مباني الإيمان الست، بل اختصروا في المباني علىٰ ما ورد من لفظ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المعاني، وكلنا ندرك ونحفظ من صغرنا حديث بني الإسلام علىٰ خمس، وحديث ما الإيمان، فذكر أركان الإيمان الست.

أما المعتزلة فجعلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلًا من أصول الدين والإيمان، هم يقولون: إن من أصول الدين، من أصول المعتزلة خمسة أمور خامسها وأخرها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لذلك يقول الزمخشري في الكشاف في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾ [هود: ١١٦]، يقول: أراد بالذين ظلموا تارك النهي عن المنكرات، أي: لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين، هذا لفظه، يقول: ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولذلك -أيها الإخوة!- لما نظرت المعتزلة إلىٰ العصاة المخالفين للشرع من وجه، أو تارك الواجب المخالفين للشرع من وجه أخر، نظروا إليهم فأخرجوهم من الإسلام، ولم يدخلوهم في الكفر، فكيف يتعاملون معهم؟ قالوا: بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، طيب أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر أصر الرجل، قالوا: إذا أصر كفر.

لذلك من المفارقات الدقيقة بين أهل السنة والخوارج، والمعتزلة، أن الخوارج والمعتزلة بإجماعهم يكفِّرون المصر علىٰ الكبيرة، وأهل السنة بالإجماع لا يكفِّرون المصر، ومن لا يعرف هذا الفرق يخلط بين الأمرين، فيظن المصر علىٰ الربا، أو المُصر علىٰ شرب الخمر أنه كافر، وهذا هو عين عقيدة الخوارج، وهو عين عقيدة المعتزلة.

فينبغي التنبه لا سيما من أمثالكم أئمة وخطباء ودعاة إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ أن تكونوا دقيقي الألفاظ، تهتموا بالمفارقات.

ثم لما حكموا عليهم هذا الحكم فإذا بهم يرتبون عليه كما يقول الزمخشري في الكشاف، يقول: الذم، واللعن، والبراءة، واعتقاد عداوته، وأن لا تقبل شهادته، بعض الأحكام نوافقهم عليها.

لكن اللعن نلعن العاصي بعينه، وهذا مفرق أخر أحب أن تتنبهوا إليه، وهو أن الخوارج والمعتزلة لا يفرقون بين ما جاء في الوعيد العام، والحكم العام، والمُعين، فمثل قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ الله شَارِبُ الخَمْر»، وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ الله فِي الخَمْر عَشَرَة»، هذا حديث صحيح ولا لا؟

لكن لو أن إنسانًا مسلمًا أراد أن يُطبق هذا الحديث علىٰ الفرد فهذا لا يجوز إلا مع وجود الشروط، وانتفاء الموانع، ولذلك لما ذاك الصحابي لعن ذاك الرجل الذي شرب الخمر في الرابعة قال: لعنه الله ما أكثر ما يؤتىٰ به، يجلد في الخمر، فماذا قال النبي الكريم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: «مَهْ إِنَهُ يُحِبُ اللهَ وَرَسُوله ».

ففرق بين اللفظ العام، وبين المعين، وهذا لابد أن ينتبه له الأئمة والخطباء، والدعاة إلىٰ الله، لما يقول المسلم: من يقول القرآن مخلوق فهو كافر هذا لفظ عام من ألفظ العموم، وأنتم درستم الأصول، لكن زيد من الناس، فلان من الناس، علان من الناس قال هذا القول هذه مسألة أخرىٰ، ولذلك هم يلعنون المعينين من العصاة.

وقد رأيت بعض الناس المتأثرين بهذا الفكر اليوم، إذا رأىٰ متبرجه، كل ما رأىٰ متبرجة يقول: لعنت الله عليك، لعنت الله عليك، قلت: أنت بدل ما تسلم كلما تشوف امرأة ثم تعلن، وتلعن، وتلعن من أمرك بهذا؟

يقول: النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ»، طيب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْعَنُوهُنَّ»، وأنت تلعنها هي، فرق بين اللفظ العام، واللفظ المعين.

ولذلك الزمخشري وغيره لا يفرقون يُنزلون الحكم علىٰ المعين، الحكم العام الشرعي ينزلونه علىٰ المعين الخاص، وهذا فرق ينبغي أن نتنبه له، وقد ذكرت الفرق العظيم بين

الحكم العام والخاص، بين المعين والعموم، في رسالتي تقريرات أئمة الدعوة في الرد علىٰ الخوارج.

بناء علىٰ هذه العداوة التي يكنونها لمرتكب الكبيرة فإن المعتزلة تستروا تحت القول بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا بهم يتسترون علىٰ قضايا غريبة وعجيبة، يلزمون الناس باجتهاداتهم، ويقولون: من خالفنا فقد خالف المعروف، ووقع في المنكر، وهذه مزلة أقدام وقعت عندها أساطين الكلام، أقدام أساطين الكلام زلة في هذه المسألة، يقولون قولًا، يرون رأيًا فمن خالفهم فإذا بهم يلحقونهم بالكفار؛ لأجل المخالفة.

ولهذا -أيها الإخوة!- الحكم بالكفر لأجل الموافقة والمخالفة، هذا من سيم الخوارج والمعتزلة، الحكم علىٰ البدعة فلان مبتدع؛ لأنه لم يوافقني هذه من سيم الخوارج والمعتزلة.

أما أهل السنة لا يقولون هذا الكلام يقولون: الكفر حكم شرعي ليس الموافقة والمخالفة، ولذلك لم يرتبوا التكفير علىٰ المسائل التي هي بنيت بسبب التأويل، كذلك لا يكفر، يختلف حكمهم في المبتدع الذي ابتداعه وقع بناء علىٰ التأويل، يختلف حكمهم، قد وقع أئمة في البدع، ومع ذلك لم يقولوا: بأنه مبتدع؛ لأن ذلك وقع منه عن اجتهاد أو عن تأويل.

ولذلك فرق عظيم بين هذه المسائل، فهؤلاء المعتزلة رفعوا هذا الشعار المحبوب إلينا كلنا، شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومع ذلك سلكوا معه مسلكًا عجيبًا، وإذا بهم يكفرون عصاة المسلمين ويحكمون عليهم.

علىٰ كل حال انصافًا للحق؛ لأن أهل السنة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أعلم الناس بالحق، وأرحم الناس بالخلق، إنصافًا للحق أقول: إن المعتزلة ضبطوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بضوابط قريبة جدًا إلىٰ أهل السنة والجماعة، لكنهم مع الأسف الشديد، وقعوا في مخالفتين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأولىٰ: أنهم يسمون الواقعين في المنكر، التاركين للمعروف الواجب يسمونه فاسقًا خارجًا عن الإسلام، وأهل السنة يقولون: الفاسق ليس خارجًا عن الإسلام.

والثانية: أنهم يوجبون ما يسمىٰ بالكفاح المسلح، أو التهيئة المسلحة، أو إنشاء الجماعات المسلحة لإزاحة الحاكم المسلم إذا فسق أو جار، فهنا وقع كما يقال: وقع الفرق بيننا وبينهم، وإلا فإن الزمخشري له كلام جميل في تأصيلات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من حيث الوجوب، من حيث علىٰ ما لا يجب ووو إلىٰ أخره، لكنهم ضلوا كما ذكرت في هاتين المسألتين.

فهو يذكر، يعني: كلام جميل يقول في تفسير قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، يقول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، وهذا حق؛ ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر وهذا حق، وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته وكيف يباشر وهذا حق؛ فإن الجاهل ربما نهىٰ عن معروف وأمر بمنكر، وربما عرف الحكم في مذهبه، وجهله في مذهب صاحبه، فنهاه عن غير منكر، وقد يُغلّظ في موضع اللين، ويلين في موضع الغلظة، وينكر علىٰ من لا يزيده إنكاره إلا تماديًا، أو علىٰ من إنكاره عليه عبث، كإنكاره علىٰ أصحاب المآصل والجلادين وأضرابهم.

هذا كلام يعني في الجملة كلام جميل، لكن في التطبيق، كما ذكرت لكم يسمون المخالف لهم يسمونه فاسقًا خارج عن الإسلام، وأيضًا يرون وجوب والسعي لإزالة الحاكم الجائر، هذا مسائل مهمة عندهم، وإنما أذكر أطراف أقلام إذا صح التعبير.

فنحن ندرك أن المعتزلة في أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد وافقوا أهل السنة في أشياء كثيرة، ولكن كما ذكرت خالفوهم في المسألتين:

الأولىٰ: تكفير المُصر علىٰ الذنب تكفير أهل الذنوب.

الثانية: جواز قتال أئمة الجور.

يقول ابن أبي حديد في شرحه لنهج البلاغة: قال أصحابنا المعتزلة رَحِمَهُم اللهُ، وهذا عين الحق ومحض الصواب؛ لأنهم، هو يتكلم عن -عياذًا بالله- يتكلم عن تفسيقه لمعاوية

رَضِي اللهُ عَنْهُ ومن معه، ومن هنا نقول لكم: إن من علامات، انتبهوا، من علامات الرافضة تكفيرهم لمعاوية وعمرو بن العاص، ومن علامات المعتزلة تفسيقهم لمعاوية وعمرو بن العاص -احفظوا هذا عني-، الذي يعتقد أن معاوية -عياذًا بالله- خال المؤمنين، كاتب وحي رب العالمين فاسق؛ فهذا معتزلي، وإذا قال كافر؛ فهذا رافضي.

مداخلة: ...

الشيخ: فرق دنيوي، في الآخرة عندهم ما في فرق، ذكرنا هذا في الأمس، لكن قد يوجد ممن ينتسب إلىٰ السنة من يطعن في معاوية وفي عمرو بن العاص -رضي الله تعالىٰ عنهم-، وفيما حصل في أصحاب الجمل أو بينهم، قد يقع.

ولذلك سؤال واحد نسأله هؤلاء المدعين للعقل، نقول: ما تقولون في الحسن بن علي؟ ما تقولون فيه؟ فإن قالوا: أنه إمام حق، أو يقولون عنه: إنه إمام معصوم، سواء كان إمام معصوم كما يزعمون، أو إمام حق وصدق، كيف له أن يتنازل لكافر أو فاسق أين عقولكم؟

هذه مسألة مهمة -أيها الإخوة!- لماذا يقول ابن أبي الحديد قال: أصحابنا المعتزلة وهذا عين الحق ومحض الصواب؟ لأنه يجب دخول الناس في طاعة الإمام، ثم تقع المحاكمة إليه، فإن حكم بالحق ما الذي يحصل استديمت إمامته، وإن حكم بالجور انتقض أمره وتعين خلعه، خلاص، ولذلك يقولون: الحاكم مع المعتزلة ومع الخوارج يمشي علىٰ السطر، يخاف أنه ماذا؟ يخالفهم في دقيقة أو في لحظة.

فنقول -أيها الإخوة-: إن ابن أبي الحديد يقول هذا الكلام، يقول: وإن حكم بالجور انتقض أمره وتعين خلعه.

ويقول في موضع أخر: قال أصحابنا المعتزلة فإن حكم بالحق استديمت إمامته، وإن حاد عن الحق انتقضت خلافته، وتجد هذا في بعض كتب الفقهاء المتأخرين المتأثرين بفكر المعتزلة تجدهم يقولون: عين الكلام، هو قد يدَّعي أنه حنفي، ولكنه في الواقع معتزلي

الاعتقاد، شافعي لكنه معتزلي الاعتقاد، فتجده يقول: إن الحاكم إذا فسق انتقضت إمامته مباشرة، مثل الوضوء ينتقض ما يحتاج إلىٰ أي شيء أخر عندهم.

فنقول: -أيها الإخوة!- هذا الكلام الخطير الذي قالوا به هو السبب الأعظم للبلابل والقلاقل التي عاشتها الأمة الإسلامية، فما ترىٰ ثورة في داخل الأمة الإسلامية سواء إبَّان الخلافة الأموية، إبَّان الخلافة العباسية، إبَّان الدويلات، إبَّان الخلافة العثمانية إلا وتجد من وراء ذلك أصحاب الخوارج، وأصحاب هذا الفكر الاعتزالي، هم الذين يغذون في الناس الخروج علىٰ حكام الجور، بل ما يأمروا الناس ويقولوا لهم: إن الله يقول في القرآن الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام: ١٢٩]، ارجعوا إلىٰ الله، توبوا إلىٰ الله، إذا بهم يضعون اللوم كله علىٰ الحاكم.

وفي عام ألف وتسعمائة وأربعة وتسعين، رأيت من رؤسائي هؤلاء شخص أتاني إلىٰ المسجد، والله الذي لا إله إلا هو لو أني رأيته خارج المسجد لما عرفته أنه منتسب إلىٰ العلم، ما عرفته ليس عليه سمة أهل العلم، وجاء يناقشنا في قضية، يناقض شيخنا في قضية السمع والطاعة للحاكم، وكان يرىٰ أن الشيخ جابر رحمة الله عليه كافر -عياذًا بالله-، فقال له أحد زملائنا جالس، قال: أنت الآن بهيئتك بشكلك بصورتك حكمت بما جاء في شرع الله، قال: لما نولي الحكم نحكم.

وقيل لبعضهم وهو يعيش في الغرب يصافح النساء، ويشرب الخمر، أحد رؤساء حزب التحرير، الحزب الممنوع في الكويت، ولله الحمد والمنة، أحد رؤسائهم، فقالوا: كيف أنت تصافح النساء، وتشرب الخمور، كيف؟ قال: لما نمسك الحكم نطبق الشرع، هيهات هيهات: إن الورد لا يُجنىٰ من الشوك، ما يمكن، من يزرع شوكًا لا يجني حبًا، وهذا غير معقول أصلًا في العقل، يا مُدَّعي العقل، الله المستعان.

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ في مقالات الإسلاميين عنهم، يقول: إن المعتزلة قالوا: إذا قمنا جماعة، وكان الغالب عندنا أننا نكفي مخالفينا عقدنا للإمام خلاص، نسوي إمام ثاني مباشرة، ونهضنا فقتلنا السلطان وأزلناه، وأخذنا الناس بالانقياد

لقولنا بالقوة ما في، بالانقياد لقولنا، ما هو مثل المستشرقين اليوم، المستغربين أحسن نسميهم، هم يسمون نفسهم مستشرقين، لكن الصواب نسميهم مستغربين؛ لأنهم يريدون إدخال علوم الغرب علينا، ولم يأخذوا من العلوم الشرقية شيئًا هم، فهؤلاء المستغربين ينفخون في جربة المعتزلة، لنراها كأنها شيء سماوي عظيم، وأنها فيها حرية، وفيها مساحة ديمقراطية، وفي واقع الأمر هذا كلامهم، وعاشه الأئمة وعاصروه.

تعلمون كلكم، لما تولىٰ أحمد بن أبي دؤاد، إبَّان خلافة المأمون، والمعتصم، والواثق، ماذا فعل بأئمة السنة؟ القتل، والتعزير، والجلد، والتشريد، وقطع الأرزاق، حتىٰ كان الرجل لا يُعطىٰ رزقه، وإن كان يعمل قاضيًا، أو إمامًا، أو مفتيًا، أو معلمًا، أو مدرس حتىٰ منع أوقاف أهل السنة إلا لمن يقول بقوله أن القرآن مخلوق، ويزعمون أنهم أهل ديمقراطية، لماذا؟

صحيح يمكن ديمقراطية، علىٰ هوىٰ الغرب صح؛ لأن الغرب يطبقون ديمقراطية، لكن بشرط أن تكون موافق لهواهم، فإن جاءت مخالف لهواهم ما في ديمقراطية، هذا عين مذهب المعتزلة تمامًا، إن وافقوهم هذا معتلي الحرية هذه عقلانية، إن خالفناهم هذه لا همجية وحشية، ماذا يسمونا؟ أهل القرون الوسطىٰ يقولون عنا، حقيقة ولا لا؟ هذا واقع ولا لا؟ واقع من الديمقراطيين اليوم، وواقع من المعتزلة قديمًا.

يقول الإمام أبو الحسن رَحِمَهُ اللهُ رحمة واسعة، يقول عنهم: فقالوا: وأخذنا الناس بالانقياد لقولنا، فإن دخلوا في قولنا الذي هو التوحيد وفي قولنا في القدر، وإلا قتلناهم، يعني: ما في فرقة تستطيع العيش في، لو تولىٰ المعتزلي ما في فرقة تعيش، لازم كلهم يصيروا معتزلة، بينما الفرق بل والملل عاشت تحت ظل الأمة الإسلامية بأمن وأمان، ولا لا؟ سبحان الله العظيم، شيء عجيب.

مداخلة: ... يعني من لم يمشي تبع هوىٰ فلا يقبل منه صلاة ولا صيام ولا حج.

الشيخ: هذا شيء أكيد، قطعًا ما في كلام، يقول: يعني هم يقولون: إن الأئمة هؤلاء أئمة الجور يجب الخروج عليهم، طيب نسمع هذا الحديث الذي رواه الإمام مسلم، وأنا

أنصحكم جميعًا خصوصًا في هذه الظروف السيئة أن تقرؤوا كتاب الإمارة من صحيح مسلم، اتقوا الله عَزَّ وَجَلَّ في من خلفكم، فوالله أنتم عنهم مسؤولون يوم القيامة، مسؤولية ملقاة علىٰ أكتافنا، الناس ومن خلفكم تظنون أنه فقط المهمة هي أداء الصلاة! لا، جعلكم الله جَلَّ وَعَلَا أئمة المنابر قدوة للناس شئتم أم أبيتم.

فلذلك لابد أن تتقوا الله، اقرأوا هذه الأحاديث علىٰ المصلين؛ لأن كثيرًا من الناس اليوم عنده العلم الذي هو الشبر الأول، ولم يدخل في العلم الحقيقي، وإذا به يقول: ألف باء يساوي تاء، وخلاص انتهت القضية عنده.

لذلك يقول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث عوف بن مالك الأشجعي: «خِيَار أَئِمَّتِكُمْ الَّذِيْنَ تُحِبُّونَهُم وَيُحِبُّونَكُم، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِم، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُم، وَشِرَار أَئِمَّتِكُم الَّذِيْنَ تُبْغِضُونَهُم وَيُبْغِضُونَكُم، وَتَلْعَنُونَهُم وَيَلْعَنُونَكُم»، تبغضونهم، وتلعنونهم طيب لماذا؟

أكيد في ظلم، في فسق، في جور، في بدع، وإلا لماذا نبغضهم، لماذا نحبهم، لماذا نعلنهم؟ فيه سبب ولا لا؟ فماذا قال الصحابة؟ قلنا: يا رسول الله! أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا مَا أَقَامُوا فِيْكُم الصَّلَاة»، رواه الإمام مسلم في كتاب الإمارة، وأحاديث كتاب الإمارة كلها عجيبة.

وقال الإمام أبو الحسن أيضًا: وأجمعت المعتزلة إلا الأصم علىٰ وجوب الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر مع الإمكان والقدرة باللسان واليد والسيف كيف قدروا علىٰ ذلك؟ فهم يوجبون الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر علىٰ سائر المؤمنين مطلقًا كما يقول ابن أبي الحديد: بالسيف فما دونه، يبدأ بالسيف ينزل تحت، بالسيف فما دونه، وإن كان كالجهاد، ولا فرق، انتبهوا لهذه النقطة الكبيرة، ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق، هذا نص كلام المسعودي في مروج الذهب.

يعني بمعنىٰ: تقاتل المسلم أصحاب المعاصي كأنك تقاتل اليهودي والأمريكي، ولذلك اليوم تجد هذا الشيء ظاهر، أن الغرب يريدون إنشاء مثل هذه الأفكار لينشغلوا

المسلمون فيما بينهم بالقتال لماذا؟ من لم يوافقنا فهو كافر، لا ليس بكافر مرتد، والمرتد حكمه أشد من النصراني إذن نبدأ به، نبدأ به هكذا يقولون ويصرحون.

-أيها الإخوة!- أنا ما أريد أن أطيل في هذا الأصل؛ لأن الأصل مُسلم الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر، مُسلم عندنا، لكنه بضوابط شرعية، كما تعلمون، الآن أنا لو جئت ونصحتك أنت قدام الناس أنت ما تقبل، والله ما تقبل، لكن لو نصحتك بيني وبينك، إما أن تقبل وإما أن تعتذر.

مداخلة: ...

الشيخ: نعم، ولذلك النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ كَانَ لَهُ نَصِيحَة إِلَىٰ ذِي سُلْطَان فَلْيُبْدِهَا سِرًا»، ولا يعلنها، جاء الناس إلىٰ أسامة قالوا: ألا تنصح لعثمان، وكان من خواصه، ويدخل عليه ويفرحوا، قال: ويحكم أو تظنون أني كلما نصحت له خرجت عليكم فأظهرت لكم ما أقول، هذا رواه البخاري، حديث أسامة.

لذلك -أيها الإخوة!- الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله إخلاصًا، ولرسوله متابعةً، ولكتابه تطبيقًا، ولأئمة المسلمين توجيهًا، وعامتهم أيضًا توجيهًا، بدأ بالأئمة كيف تنصحهم؟ ولذلك -أيها الإخوة!- لابد أن ننتبه لهذه القضية.

الخليفة في الإسلام حاله كحال الأب في البيت، كيف يوجه الابن نصيحة لأبيه؟ أمام الناس يا أبي أنت ظالم، ما رأينا ابنًا بارًا يفعل هذا، ولذلك لابد من النصيحة سرًا.

لذلك قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ في رسالة له موجه إلىٰ أحد القضاة، قال: وإنه قد بلغني أن بينك وبين الأمير شيئًا، وأنت وإياه لابد أن تكون خويه، خويه يعني: أصحاب، علىٰ لسان أهل نجد، فإن رأيت منه شيئًا فانصحه سرًا، فإن قبل منك فذاك، وإلا فارفع الأمر إلينا، نخبر الإمام عن شأنه، شوفوا سبحان الله الأمر سهل.

رأىٰ أبو سعيد الخدري رضي الله تعالىٰ عنه، رأىٰ مروان بن الحكم يصعد علىٰ المنبر في يوم العيد، يريد أن يخطب قبل الصلاة، فجذبه بثوبه، أو جذبه إنسان، في رواية أن أبا سعيد هو الذي جذبه، وهذه رواية صحيحة، فلم يسمع، فالتفت إلىٰ أبي سعيد، قال له أبو

سعيد: إن الخطبة بعد الصلاة، قال: يا أبا سعيد ذهب ما قد تعلم، فقال أبو سعيد: الذي أعلمه خير من الذي لا أعلمه.

طيب ما سمع كلامه، راح قام خطب، هل قام أبو سعيد قال: يا جماعة هذا رجل مبتدع ظال، غير الدين اتركوه لا تسمعوه، خلاص جلس وسكت، وصلىٰ وراءه، هذا دين النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة، يعلمون تطبيق عملي يا إخوان.

جاء أناس إلىٰ عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالوا: إن يزيد يفعل ويقول، ويفعل، فقال له عبد الله بن عمر: إما أنك سمعت، وإما أنك رأيت، فإن كنت رأيت فأنت صاحبه وشريكه، وإن كنت سمعت فإن الناس يكذبون، انتهت الإشكالية، اذهب وانصحه سرًا يا أخي، كيف تنصح أباك؟

فهذه المسألة -يا أيها الإخوة!- مسألة عظيمة يجب علينا، ومكتب إدارة مكتب الشؤون الفنية جزاهم الله خيرًا مشكورين طبعوا كتاب جميل جدًا لأحد مشايخنا، وهو بعنوان: معاملة الحكام للشيخ الدكتور عبد السلام البرجس، لعبد الكريم رحمة الله عليه وهو كتاب عظيم، نتعلم فيه كيف ننصح من ولاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمرنا، سواء كان له مسؤولية خاصة أو عامة.

أنتقل إلىٰ المطلب الرابع علاقة المعتزلة بالخوارج، لا أطيل وإنما أذكر ستة أوجه لهذه العلاقة.

الخوارج كما تعلمون فرق مختلفة، ولكن الذي يجمعهم أنهم يخرجون علىٰ سلاطين الجور، ويكفِّرون بالذنب، ووافقوا المعتزلة في وجوه:

الوجه الأول: إخراجهم المسلم من الإيمان بالذنب، والفرق في الحكم الدنيوي لا في الأخروي، هذه علاقة أولىٰ نقطة التقاء بين المعتزلة وبين الخوارج في مرتكب الكبيرة.

الوجه الثاني: وجوب الخروج علىٰ أئمة الجور، عند المعتزلة، وعند الخوارج.

الوجه الثالث: قولهم بتخليد فُسّاق المسلمين في النار في الآخرة.

الوجه الرابع: اتفاقهم في إنكار كل ما يخلف عقولهم من السنة، وإن اختلفوا في بعض المنكرات بحسب عقولهم، الخوارج تأثروا بالمعتزلة تأثرًا كبيرًا، فأصحبوا بعد ذلك الشيء الذي يخالف عقولهم يردونه لماذا؟

يقولون: لأنه لم يرد في الكتاب هكذا يزعمون، حتىٰ كان من الخوارج من أوجب قضاء الصلاة علىٰ المرأة الحائض، قياسًا علىٰ العقل بأن الصلاة أعظم من الصيام، فإذا كانت هي تقضي الصيام بالإجماع، فقضاء الصلاة أولىٰ بالقياس، ما رأيكم في هذا القياس يا إخوان؟ قياس مع النص.

مداخلة: قيل: أحرورية أنت؟

الشيخ: نعم أحرورية أنت، هذا قياس مع النص، يسمىٰ قياسًا فاسدًا.

الوجه الخامس: قد تجد من المعتزلة من يخرج مع الخوارج، ويكون تحت لوائهم ويعززهم، ويكرمهم، ويثني علىٰ أعمالهم، لأجل القاسم المشترك بينهم.

الوجه السادس: وهذا الوجه التحذيري، قد تقرأ في كتب المعتزلة الثناء والتفخيم علىٰ الخوارج، وهذا يؤيد مدىٰ إعجابهم بهم، ولا يذكرون شيئًا من مثالب الخوارج، وابن أبي الحديد أكبر دليل علىٰ ذلك في شرح نهج البلاغة.

والمسعودي أكبر دليل في كتابه مروج الذهب، يذكر أشياء عن أفعال الخوارج، ولا يذكر لهم مثلبة واحدة، إنما يذكر شجاعتهم، وقوتهم، وبسالتهم، وإيمانهم، وعبادتهم، وزهدهم، يصورونهم لك كأنهم ملائكة، أنت تقول: ما هذا خلاص، يا أخي ما دام هذا أمسك لساني عنهم أحسن، النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سماهم كلاب النار، كيف تمسك لسانك أنت!

مداخلة: ...

الشيخ: نعم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سماهم كلاب النار، وهؤلاء يأتون ويثنون عليهم، ويغضون عن مثالبهم، وهو لا شك.

من أعظم مثالب الخوارج أيها الإخوة! من خروجهم علىٰ عثمان، إلىٰ اليوم، وإلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ كما صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث ابن عمر: «كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمْ الدَّجَّالُ».

من أعظم مثالبهم أنهم سببوا القتل والقتال بين المسلمين، وهذه والله مثلبة عظيمة.

مداخلة: ...

الشيخ: التشريد، والتخويف، صد الناس عن دين الله عَزَّ وَجَلَّ، لا كافر يقول: أنتم الآن تتقاتلون فيما بينكم، همجية، أي دين هذا؟! إحجام الفتوحات الإسلامية، فقد كان محمد بن القاسم مشغولًا بفتح بلاد السند، وإذا به يُتفاجأ بخنجر من خلفه في بلاد البصرة والكوفة، وإذا بقتيبة بن مسلم مشغول بفتح الصين وإذا به يُفاجأ بالخارجيين قد خرجوا في بلاد خرسان، فيرجع.

محمد الفاتح مشغول بفتح بلغراد وإذا به يُفاجأ بخروج الروافض والخوارج عليه من الخلف، سليمان القانوني مشغول بفتح عاصمة المجر بودابست وإذا به يُفاجأ بخروج الصفويين عليه.

أي مثلبة، أي منقبة لهؤلاء حتىٰ يثنىٰ عليهم! شجاعتهم، شعرهم، آدابهم! والله تحت التراب، ما يساوي فلسًا واحدًا في دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

فهذه ستة أوجه للعلاقة بين المعتزلة والخوارج.

انتقل إلىٰ المطلب الخامس والأخير، أثرهم علىٰ الفرق الإسلامية، غير الخوارج.

مداخلة: ...ما في تأصيل يا شيخ ...

الشيخ: كثيرًا وليس قليلًا.

مداخلة: قولهم فعالًا.

الشيخ: ومن أفكارهم.

مداخلة: ...

الشيخ: سيأتي الآن ذكره إن شاء الله.

مداخلة: هل هذا هو السبب الرئيسي؟

الشيخ: نعم، المطلب الخامس، أثر المعتزلة علىٰ الفرق:

أولًا: أثرهم علىٰ الفرق، قد ذكرنا أثرهم علىٰ الخوارج.

ثانيًا: أثروا علىٰ الزيدية -وقد كانوا من فرق الشيعة- من جهة نفي الصفات، وإنكار عذاب القبر ونعيمه، وتقديم العقل علىٰ النقل.

ثانيًا: أثروا علىٰ أشهر فرق الخوارج الباقية وهي الإباضية، فهم يرون اليوم نفي الصفات، نفي عذاب القبر ونعيمة علىٰ البدن، يرون أيضًا تقديم العقل علىٰ النقل.

ثالثًا: أثروا علىٰ الروافض من جهة نفي الصفات، وإنكار كثير من مسائل الغيب؛ ولهذا يفتخر كثير من الرافضة بهم، يفتخرون، وأنا سمعت أكثر من مرة من الرافضة من يقول: نحن لسنا الوحيدين الذين نطعن في عثمان ومعاوية وعمرو بن العاص، من معكم؟ فلان، وفلان، وفلان من أهل السنة، من قال لكم: أن هؤلاء من أهل السنة! من يطعن عندنا في صحابي واحد ليس من أهل السنة، الله أثنىٰ عليهم من فوق سبع سموات، من أنت؟!

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠].

الشيخ: بعض الأنصار ولا كلهم؟

مداخلة: كلهم.

الشيخ: بعض المهاجرين ولا كلهم؟

مداخلة: كلهم.

الشيخ: يا إخوان! سبحان الله، الآية أوضح من الشمس، وهم يدعون اللغة، أين هم من اللغة؟! هل الله عز وجل رضي عن المهاجرين والأنصار هذا الاسميين الشرعيين؟ ما كان معروف قبل الإسلام، أثنىٰ الله عليهم بإطلاق بدون قيد، وبألف لام الاستغراب بدون تبعيض، ماذا يفعلوا؟ سبحان الله! ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ [الحشر: ١٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، هذه مسألة مهمة أيها الإخوة.

فابن أبي الحديد يثني عليه الرافضة إلىٰ اليوم، وابن أبي الحديد متشيع معتزلي، لذلك يقول: قال أصحابنا -يكرر هذه العبارة كثيرًا في كتابه شرح نهج البلاغة-.

أيضًا بعض الأشعرية تأثروا بالمعتزلة، ومن أبرز من تأثر بالمعتزلة كفكر ابن تومرت؛ صاحب دولة الموحدين، هو سمىٰ نفسه بالموحدين؛ لأنه كان شديدًا علىٰ من يُثبت الصفات، بل كان أهل المغرب لا يعرفون إنكار الصفات، كانوا علىٰ مذهب السلف قاطبة، حتىٰ جاء ابن تومرت فبدأ يُدخل هذه العقيدة عليهم.

وأيضًا ممن تأثر بالمعتزلة الماتريدية، وذلك من جهة التحسين والتقبيح العقلي، ونفي الصفات الفعلية.

أما الباطنية، كيف تأثروا فرق الباطنية؟ كيف تأثروا بالمعتزلة؟ قد تقولون تتعجبون، ما هي علاقة الفرق الباطنية وتأثرهم بالمعتزلة؟!

يقول ابن أبي الحديد: فأما باطن الآية تأويلها الحقيقي فغير ما يسبق إلىٰ الذهن، الباطنية كيف تأثروا بالمعتزلة؟ يقول ابن أبي الحديد: فأما باطن الآية وتأويلها الحقيقي فغير ما يسبق إلىٰ أذهان العوام، فليُطلب من موضعه.

إذًا: الآية عندهم له ماذا؟ باطن وظاهر، في الحقيقة المعتزلة لا يلفظون هذا اللفظ، لا يقولون هذا اللفظ، من الذي يقول الآية لها باطن وظاهر؟ الباطنية، وبعض المتأثرين بهم من الصوفية، لكن ماذا يقولون هم عن الآيات؟ كيف فتحوا الباب لأهل الباطنية؟ هذا سؤال مهم.

فتحوا الباب من جهة أنهم قسَّموا الألفاظ في العربية إلىٰ حقيقة ومجاز، فما أعجبهم قالوا عنه حقيقة، وما لم يعجبهم قالوا عنه: مجاز، وتأملوا معي إلىٰ هذه النقطة التي تعرفون أن من فتح هذا الباب لا يستطيع إغلاقه، الباب مغلق هكذا، الألفاظ العربية دِلالاتها واضحة بينة، فإن كانت هناك كلمة موحشة غريبة علىٰ أسماعنا نطلب معناها من كلمات أخرىٰ، إما بدلالة السياق، أو بدلالة السباق، أو بدلالة اللحاق، أو بدلالة الاقتران فنفهم المعنىٰ،

هم قالوا: لا، فتح الباب شوية، من الذي فتح الباب؟ أول من فتح الباب المعتزلة، قالوا: هناك حقيقة ومجاز.

فانتبهوا الآن لما قالوا: حقيقة ومجاز جاء إليهم من؟ الجهمية، قال: أنتم قلتم المجاز في آيات الصفات، والأسماء؟ قالوا: ليس بمجاز، قال: لا، نحن نقول: حتىٰ الأسماء مجاز، جاء إليهم المرجئة قالوا: تعال أنتم قلتم إن آيات الصفات مجاز، نحن نقول: لا، آيات الوعيد كلها مجازات، جاء إليهم من؟ جاء إليهم الفلاسفة، وما أدراك ما الفلاسفة، قالوا: تعالوا يا معتزلة، أنتم قلتم الألفاظ فيها حقيقة ومجاز، آيات الصفات مجاز، نحن نقول: لا، آيات الصفات مجاز، آيات الأحكام مجاز، الجنة والنار مجاز لا حقيقة في الإعجاز.

ماذا بقي؟ والله الذي لا إله إلا هو، من يفتح هذا الباب لا يستطيع إغلاقه، ما هو الضابط الذي أنت تضعه، وتقول هذه حقيقة هذا مجاز؟ يقول: القرينة، ما أنت تدَّعي أنه قرينه، غيرك يدعي أنها ليست قرينة، وتبقىٰ الدنيا هكذا في حيص وبيص.

هل كان السلف، الصحابة، التابعون، الأئمة، إلىٰ زمن الأئمة الأربعة، هل كان احد منهم ينظر إلىٰ ألفاظ الشرع إلىٰ القرآن والسنة، وألفاظ العرب أنها هكذا وهكذا؟! انتبهوا ترىٰ هذا كلام، أنا لا أتكلم فيه بحماس؛ لأنه باب خطير يلج منه كل من يريد هدم الدين، فجاء إليهم الباطنية وخرَّبوا علىٰ الناس كل شيء، قالوا: أقيموا الصلاة واكتموا أسرار مشايخكم، قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة: ٦٧]، قالوا: عائشة، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة: ٦٧]، حض الشيطان من قلوبكم بأي لغة؟ ما أدري، والله يمكن حتىٰ بلغة الجن ما يمكن، هذا موجود، وفي الكتب.

فالباطنية تأثروا بالمعتزلة من جهة تقسيم دلالات الألفاظ، ثم بعد ذلك فتحوا الباب علىٰ مصراعيه.

ولذلك صاحب كتاب المظنون به علىٰ غير أهله يقول: إن هذا لا يجوز إظهاره للعامة، وإن كنا نعتقد أن الشريعة كلها مجازاة. انظروا الخطأ، الكلام الخطير، هكذا يقولون.

أيضًا يا أيها الإخوة! أنقل إلىٰ ثانيًا: أثرهم علىٰ المعاصرين: إن المعاصرين تأثروا بالمعتزلة في وجه كثيرة متعددة، أولًا أذكر الأوجه ثم أذكر المتأثرين اسمعوا:

الوجه الأول: تحكيم النقل إلىٰ العقل تصحيحًا وتضعيفًا.

حتىٰ يخرج إلينا في القنوات اليوم، من يقول: لا نقبل هذه الأحاديث، يعني حتىٰ لو قاله البخاري ما نقبل غير مخالفة للعقل، عقلك أنت يا صعلوك! ماذا نفعل بعقلك أنت؟! عقل الأئمة، الأئمة عندهم عقول ولا ما عندهم عقول أئمة الدنيا؟ أبو حنيفة، والشافعي، ومالك، وأحمد، والبخاري، ومسلم، أئمة الدنيا ما قالوا هذا الكلام، وأنت تأتي تقول: مخالف للعقل! عقل من؟!

هذا كلام خطير يا إخوان، تحكيم النقل إلىٰ العقل يعني هدم الدين، والله ليس مرادهم البخاري، مرادهم إسقاط السنة، كما فعل غير واحد كأبي رية وغيره وغيره هذا معروف، ليس بمستغرب، حتىٰ أخرج الأزهر -جزاهم الله خير- فتوىٰ في أن إنكار السنة كفرٌ، لماذا؟ لوجود من أمثال هؤلاء.

الوجه الثاني: الطعن في السنة.

بدأوا يطعنون في السنة، في حملة السنة، في رواة السنة، حتىٰ واحد منهم والله قال كلامًا يعني ما أدري أين عقله لما قال! قال: أصل البخاري كان مجوسيًا، أراد هدم الدين، يعني: هذا الكلام يا لكع يا ابن الكع ما فهمه أحد وأنت فهمته! من أين؟! أئمة الدنيا ما فهمت، الإمام أحمد يثني عليه، الإمام يزيد بن هارون يثني عليه، الإمام قتيبة يثني عليه، الإمام علي بن المديني يثني عليه، كل الأئمة في زمانه يثنون عليه، وأنت تأتي وتقول هذا الكلام الخطير! لا ليس المقصود هو البخاري، وذكرت هذا في مجالس الدفاع عن البخاري، ليس مقصوده البخاري، مقصوده هدم السنة يا إخوان.

يأتي الآن ينكرون حديث نزول عيسىٰ، ينكرون خروج الدجال، يفسرون الأمور الغيبية بأهوائهم، حتىٰ سمعت واحد من المعاصرين يقول: خروج يأجوج ومأجوج يعني إن...، والله هكذا يقول، هكذا بكل قباحة، ووقاحة، يقول: المراد بخروج يأجوج ومأجوج يعني

هذا التناسل الاستنساخي الذي يفعله الأطباء، يعني طيب وذو القرنين أين السد الذي أغلق عليهم؟ أين العقل؟! يا أخي خاطب الناس، أنت تتكلم مع الناس، ما تقول الناس عندهم عقول، كلام خطير يا إخوان.

الوجه الثالث: التسرع في الأحكام والفتوىٰ بالعقل.

تجد الرجل لا قرأ البخاري، ولا مسلم، ولا أبو داود، ولا الترمذي، ولا النسائي، ولا ابن ماجة، ولا فهم القرآن، ما يسئل عن مسألة إلا ويجيب، والله اليوم في وزارة الأوقاف في العمل، عندنا أحد المفتين، أكثر من أربعين سنة وهو في الإفتاء، سئل عن مسألة لو نطرحها في الدواوين كل الناس يجيبون عليه، وإذا به أرجع السائل قال: حتىٰ أبحث، يا إخوان! الفتوىٰ أمرها ليس بالهين، الفتوىٰ أمرها عظيم.

يذكرون عن سليمان القانوني أنه لما حضرته الوفاة ومات نظروا إلىٰ وصيته، فإذا مكتوب في وصيته، ادفنوا معي هذا الصندوق المقفل، استغرب الناس ماذا موجود في هذا الصندوق المقفل؟! فمن الناس الذي كانوا موجودين، المفتي مفتي الخلافة العثمانية أسعد أفندي فقال: لا بد من فتحه، خشية أن يكون فيه دينار وذهب، وقد أجمع الفقهاء علىٰ تحريم دفنه مع الميت، ففتحوا الصندوق وإذا فيها كلها فتاوىٰ، كأنه أراد أن يقول: هذه معي، إن سألني رب العالمين لما فعل كذا؟ أقول: لفتوىٰ فلان، ولفتوىٰ فلان، ولفتوىٰ فلان، فبكىٰ مفتي الخلافة العثمانية وأبكىٰ من بعده، قال: أما هو فقد نجىٰ نفسه، أما نحن ماذا نفعل؟ يتقي الله المفتي يا إخوان! هذا موجود اليوم يا إخوان.

مداخلة: ...

الشيخ: كذابين أفاكين يا شيخ هؤلاء، أنت تصدقهم!

مداخلة: لا لم أسمع.

الشيخ: الحمد لله لا سمعت ولا تسمع به.

مداخلة: مشغول في الفتوحات.

الشيخ: أحسنت هو واحد مشغول بالفتوحات، أنت تعرف رقعة العالم الإسلامي في زمن سليمان القانوني لما بويع له بالخلافة كم كانت؟ كانت ستة مليون كيلو متر مربع، تعرف لما مات كم؟ ثمانية عشر ألفًا، تضاعف ثلاث مرات، هذا كذب، يريدون تشويه تاريخنا يا إخوان.

طيب ننتقل إلىٰ الوجه الرابع: تفسير النصوص تفسيرًا عقليًا عصريًا.

كإنكار أصل الإنسان، إنكار أن يكون هذا للمخلوقات، وهكذا علىٰ هواهم، يفسرون الملائكة بالخيال، يفسرون الجن بالجراثيم.

الوجه الخامس: الكلام في القدر والخوض فيه، هذا من تأثر المعتزلة.

الوجه السادس: تأثر الملاحدة بفكر الاعتزال، وذلك أنهم يثبتون إلهًا لا صفة له، ولا يمكن الإشارة إليه، فهو ذهني خيالي؛ ولذلك نحل كثير منهم الإلحاد.

الوجه السابع: نبذ المعتزلة أهل السنة بألقاب شنيعة، وصار علىٰ دربهم كثير من المعاصرين؛ فيقولون عن أهل السنة: حشويه ومجسمة، ألقاب قديمة، وأما الألقاب الجديدة فهي كثيرة، لعل الواحد يتعب من حصرها، وأنتم تسمعونها بين الفينة والفينة.

الوجه الثامن: لا يرون الجُمع والجماعة.

في عام ألف وتسعمائة وثمانية وتسعين ميلادية، ذهبت إلىٰ جماعة ينتحلون المذهب المعتزلي، وهي مذهب مشتهر في كراتشي باسم مذهب العثمان، أو المذهب الأفروزي أو أفرزي، بهذا الاسم تقريبًا، وذهب وأتكلم مع بعضهم لعل الله أن يهديهم، والله يا إخوان أذَّن الظهر وبينهم وبين المسجد شارع واحد فقط، فقلت: نذهب نصلي ونرجع، قالوا: لا نصلي خلف هذا، هذا كافر، قلت: لماذا كافر؟ قالوا: معين من الأوقاف، ويأخذ مرتب من الأوقاف، والذي يأخذ مرتب من الأوقاف كافر، يعني نحن كلنا خرجنا من دين الإسلام.

مداخلة: إذا كان خارج من فتوىٰ.

الشيخ: والله يا إخوان! أنا لا أمازح، ليس واحد ولا اثنين، أربعة جالسين يناقشونني علىٰ أحاديث في البخاري، وفي الأخير خرجت من عندهم خالي اليدين، اللهم إلا أني كسبت أنهم قالوا عني: أنت كافر صريح، خلاص والله، قالوا: كافر صريح ما لنا عليك سلطان وإلا قطعنا رأسك، قلت: الحمد لله الذي لم يجعل لكم سلطان، ولن يجعل الله لهم سلطان.

أيضًا أنتقل إلىٰ مسألة أنهم لا يرون الجمع والجماعة ليس هذا فحسب، بل يعتزلون مجتمعات المسلمين، ويدعون إلىٰ العزلة، وهذا موجود مصرح في مؤلفات المفكرين اليوم، والمثقفين اليوم، اعتزال جماعة المسلمين، لا يرونهم مسلمين يعتزلون، يعتزلون مع أنفسهم وينحازون، ويرون التحزب دينًا، لابد تصير معنا، ما تصير معنا لست منا خلاص، هذا وجه واضح وظاهر في كثير من كتابات المفكرين.

الوجه التاسع: القول بأنه ليس لله في نفس الأمر في الأمور الاجتهادي حكم، وإنما الحكم ما يتوصل إليه المجتهد باجتهاده، فتوسع العقلانيون المعاصرون حتىٰ جعلوا هذه في الاعتقادات أيضا فعذروا الكفار والمشركين.

تناقض عجيب، من جهة يكفرون صاحب الكبيرة، ومن جهة أصبحوا يعذرون ماذا؟ يعذرون كل إنسان.

أما أثرهم علىٰ الفرق المعاصرة، فمن أهم هذه الفرق، أذكر أربعة فرق، ثم أقرأ بعض الأسماء:

حزب التحرير؛ وهذا حزب ولله الحمد من الأحزاب الممنوعة في الكويت بحكم القانون الذي صدر، من أبرز الفرق المعاصرة التي تأثرت بفكر المعتزلة حزب التحرير، من حيثيات كثيرة:

منها تقديم العقل علىٰ النقل، منها القول بالوجوب علىٰ الله، منها تكفير أصحاب الكبائر، منها الخروج علىٰ جماعة المسلمين، منها إنكار عذاب القبر ونعيمة، ومنها أنهم لا يرون من سواهم علىٰ الإسلام والدين.

مداخلة: أين حزب التحرير هذا يا شيخ؟

الشيخ: حزب التحرير أصلًا أسس موجود، أسس في الأردن، ولكن لها فروع في بريطانيا، في أمريكا، لها فروع في فلسطين، لها فروع في باكستان، لها فروع في عدة دول، بعضها سرية، وبعضها ظاهرة.

ثانيًا: من أبرز الأحزاب المتأثرة بالمعتزلة العلمانيين.

العلمانيين كيف متأثرين بالمعتزلة؟ هذا سؤال غريب؛ لأنهم يقولون: علىٰ أن العقل يدلنا علىٰ أن الدين محله المسجد، إذا خرج من المسجد ما لك شغل، تجد أحدهم يصلي الفجر قبلي وقبلك في المسجد في الصف الأول، ثم إذا جاء إلىٰ الدوام الرسمي، فيقول: الدين ليس لله إلا في المسجد، كما يقولون: دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله، هكذا يقولون ويبجحون، يظنون ديننا دين النصارىٰ، هذا دين محرف، هذا دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

أيضًا: اللبراليين، وهم نفس الفكر قريب من العلمانيين والتوجه.

رابعًا: أصحاب الديمقراطية اليوم.

وما أدراك ما تأثرهم، شيء عجيب جدًا، أقرأ عليكم مقالًا في جريدة الوطن السعودية في عدد ألفين وثلاثمائة وخمسة لأحدهم يقول: ويفخر تاريخنا القديم، لمدارس فكرية متعددة، شاركت في زمانها في حراك فكري ثقافي في قضايا فلسفية عقلية، وهي فكر الاعتزال، بيد أننا لم نستفد من تلك المدرسة العقلية التي تحاكي عقل الإنسان، ولم نحاول أن نبرز الأدوات والوسائل التي كانت أساسًا لتلك المدرسة، بل قد أبرزت تلك المدرسة علىٰ أنها ضارة وغير نافعة، وهذه إشكالية فكر تفرد بمجتمع، فأصبح يملي عليه ما جوز التفكير فيه وما لا يجوز، وساهم في ترسيخ منظور ومنهج واحد، تُدْرس من خلاله تلك المدارس الفكرية العقلية التي تزهر بالثقافة إلىٰ آخر ما قال، علىٰ كل حال بدأ يثني علىٰ المعتزلة، ويدعوا إلىٰ تبني مذهب الاعتزال بعبارات صريحة.

ومن أهم المؤلفات -أيها الإخوة-: كتاب المعتزلة الجدد، هذا الكتاب مؤلفه عرض كتاب المعتزلة الجدد أغراض وسياقات التعامل العربي الحديث، مع تراث الإسلام

العقلاني، قدم توماس هلد برندت أصل هذا الكتاب للحصول علىٰ درجة الدكتوراه من جامعة بامبرج الألمانية، وقد حصل الكاتب لإنجاز هذا الكتاب، علىٰ منحة دراسية في بيروت في المعهد اللبناني للأبحاث الشرقية، بتمويل من هيئة التبادل العلماني الألماني، المشار إليه بحروف (DAAD)؛ حيث أقام الكاتب هناك ثمانية أشهر، وأنجز بحثه الميداني بمعاونة بعض الباحثين والاساتذة العرب، كان منهم الدكتور طريف الخالدي استاذ ... الشيخ زايد، وكما قدم الشكر لكل من عاونوه من البلدان العربية، وقد ذكر من مصر حسن حنفي، نصر حامد أبو زيد، محمد إبراهيم الفيومي، محمد عمارة، ومن لبنان رضوان السيد، وسميح دغيل، صاحب موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي.

حاول الكاتب من خلال فصل معين -المعتزلة الجدد- حاول بأن يبين أنه لدىٰ المستشرقين الغربيين أو المفكرين المسلمين العرب علىٰ حد سواء، بدأ من جولد سهر الذي رأىٰ أن الحركة العقلانية الحديثة في الإسلام نَمَت في كل من الهند ومصر، علىٰ يد السيد أحمد خان، والسيد أمير علي في الأولىٰ، وعلىٰ يد محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني في الثانية، وانتهاءًا بأستاذه البرفسور لود استتشر مبرمبرج؛ الذي اثار لدىٰ الباحث الاهتمام بالموضوع في الفصل الدراسي الشتوي، فذلك كان سببًا لدراسته.

وذكر ممن يحمل الفكر المعتزلي الجديد، وهو تقديم النصوص للعقل وتحكيمه -أنا أسميها تحكيم، وهو يسميها تقديم- تحكيم النصوص للعقل كلًا من أحمد أمين، محمد عبد الهادي أبو ريدة، علىٰ مصطفىٰ الغرابي، زهدي جار الله، والبير نصري نادر، والمغربية فاطمي ميرنيسي.

ثم ذكر الكتاب الذين يتناولون قضايا مثل حرية الإنسان، وتقديم العقل، وغيرها من المفاهيم المتقاربة مع فكر المعتزلة، والمتأثرة بها بطريق غير مباشر، ولكن بأسلوب الكاتب، ولغته الخاصة، من هؤلاء الروائي محمد كامل حسين، هشام جعيط الطالبي، محجوب بن ميلاد خلف الله، حسن حنفي ...وأخرين.

ثم أورد اسم الكُتَّاب الذين يؤمنون بأفكار المعتزلة، لكنهم لا يصرحون بذلك لأسباب تكتيكية حسب تعبير الكاتب، وقد ذكر أن أوضح مثال لهذا الصنف هو محمد عبده؛ حيث وصفه بمحاولة إيجاد طرق وصياغات وسطية بين الأشاعرة والمعتزلة، مما أدىٰ إلىٰ إخفاء تأييده للمعتزلة صراحة، وقد ذكر في هذا السياق موقف جابر عصفور أثناء تأييده لتلميذه نصر حامد أبو زيد، ممثلًا الصراع بينه وبين مخالفيه علىٰ أنه صراع بين أهل العقل المعتزلة، وأهل النقل، يعني أهل النقل ما عندهم عقول ترىٰ، هذا نظرتهم لنا.

وبعد ذلك وضح الكتاب الذين يقرون صراحة بانتمائهم إلىٰ مدرسة الاعتزال، وقد رأىٰ المؤلف أن قِلة من الكُتَّاب يتخذون هذا الموقف الصريح لعدة أسباب منها: أن سمعة الجماعة خلال القرون الماضية تثبت في عقول المسلمين فكرة سلبية عن المدرسة والمنتسب إليها، كما أشار إلىٰ أن معنىٰ كلمة الاعتزال وما تحوية من انغلاق وتفريق للأمة جعل الاتصاف بها غير مرغوب فيه لدىٰ كثير من الناس، إلا أنه أشار إلىٰ أن السيد أحمد خان، وحسن حنفي من هذه القلة التي تعلن عن تأييدها وانتمائها الفكري إلىٰ هذه المدرسة، وقد تزايدت هذه الدعوة في السنوات الماضية، فقد تحدث بها كثيرون.

قال: ومن المعجبين بالفكر الاعتزالي أيها الإخوة! ونشر مبادئهم وبعث الفكر الاعتزالي: عاطف العراقي، ومحمد سليم العوة، ومحمد عمارة، ومحمد عابد الجابري، ومحمود قاسم.

ومن أهم فترة نشاط الشيخ طاهر الجزائري كانت في سوريا، فترة ذهبية لانتشار أفكار المعتزلة التحررية، وكان أحمد أمين المؤرخ الفكري واحدًا من الذين اعتبروا المعتزلة هم ليبراليو الإسلام، كما ذكر المؤلف من هذا الصنف محمد حسين هيكل، ومحمود عباس العقاد، وطه حسين.

والصنف الأخر الذي ابدىٰ إعجابًا وتبنيًا واستخدامًا لفرقة المعتزلة من أجل ترويج مذهبه كانوا هم اليساريين العرب، حتىٰ اليساريين العرب، بل والنصارىٰ العرب، انتبهوا والنصارىٰ العرب كانوا ينثنون علىٰ المعتزلة، واليساريين العرب، وكان علىٰ راسهم شبل

شميل، وصادق جلال العظم، ومحمود أمين العالم، وسمير أمين، وأنور عبد الملك، والطيب تيزيني، وجور طرابيشي، وقد استخدم هذا الاتجاه أفكارًا إسلامية مثل التكافل الاجتماعي، مساواة البشر، شاعت بينهم مفاهيم الحقبة الناصرية حول اشتراكية الإسلام، أو الاشتراكية الإسلامية، وفيه إشارة إلىٰ جهود الشيوعيين اللبنانيين، ذكر الكاتب جهود حسين مروة؛ الذي نشر كتابه المثير للجدل بعنوان النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية.

وفي كتاب الفكر الإسلامي السياسي والمعتزلة استخدم علي عبد الرازق لمنهج متأثر بالمعتزلة في كتابه الإسلام وأصول الحكم، حيث رأىٰ أن شؤون الحكم متروكة لعقل الإنسان، ما في شيء اسمه كتاب الإمارة في صحيح مسلم، ولا شيء اسمه كتاب الأحكام في صحيح البخاري.

يقول: إن شؤون الحكم متروكة لعقل الإنسان يدبرها حيث المصلحة، ومقتضيات العصر، وأن الخلافة كانت ظاهرة تاريخية لا علاقة لها بجوهر الإسلام، كما عالج الكتاب تأثير الاعتزال في بعض التصنيفات السياسية كما في الصراع بين الحنابلة والتيار السلفي، وبين الشيعة كأحد أبرز الذين تأثروا في عقائدهم الكلامية في مذهب الاعتزال، وقد حرص العالم الغربي ممثلًا في المستشرقين الذين تدعمهم الجهات العلمية علىٰ تتبع الظواهر الفكرية المساندة والمؤيدة ولو من دون قصد للتيار الحداثي الغربي، والقيم العلمانية، سواء كان هذا التأييد عن طريق الأطروحات الجديدة، أو إعادة صياغة أراء الفرق القديمة بمصطلحات عصرية، أو حتىٰ مجرد إحياء، وبعث التراث الكلامي والفلسفي المقبوض، ونشره بين الباحثين في التراث، والتاريخ الفكري للإسلام، علىٰ أنه وجهة النظر العقلانية الغائب عن الحضور، بسبب الانغلاق والرجعية، وبهذا يصبح رجالات المعتزلة ثوارًا ومفكرين، لم تدرك الأمة قدرهم، ولم تستوعب أفكارهم الحداثية التي كانت سابقة لأوانها، هكذا يقول المستشرقون.

أيضًا إن العلمانيين العرب فاتهم وهم يحاولون أن يبحثوا لهم في تاريخنا عن سلف يرفعون به خسيسة الانتساب إلىٰ الغرب، أن جميع الفرق مع ما فيها من الضلال والبعد عن المنهج الصحيح، بما في ذلك الاعتزال أنهم كانوا عندهم نوع حمية من الدين، إلا أن المعتزلة الجدد منهم الآن لم يشتقوا مذاهبهم ولا أراءهم من الإسلام، ولا كانت بدايتهم منه، بل كانت أول الطرقات من الغرب، أخذوا من مبادئه وارتووا من سرابه، وأقول كما فعل أسلافهم، أخذوا مبادئهم من منطق اليونان وفلسفة الهند، وهؤلاء أخذوا مبادئهم من منطق الغرب والشرق، ولم يأتي إلىٰ مائدة المنزل من السماء، ثم ذهبوا يطلبون لهم من أهل الإسلام موافقًا، لقد خالفوا المعتزلة في المنشأ والنتيجة، فقد كان ضلال المعتزلة بسبب نفي الصفات عن الله، وتسمية هذا النفي تنزيهًا، وهؤلاء الجدد لا علاقة لهم بهذا الأمر من قريب ولا بعيد.

أما بالنسبة للنتائج؛ فإن المعتزلة كانوا أكثر تطرفًا من جماعات التكفير اليوم، سواء في حكمهم علىٰ مخالفيهم من الاعتقاد، أو حكمهم علىٰ العصاة من عوام المؤمنين، كما فاتهم أن أفكار المعتزلة التي أرادوا التغني بها، هي جزء من منظومة المعتزلة الفكرية المتكاملة، وأنها التزامات التزموها نتيجة أصولهم التي بنوا عليها بغض النظر عن مناقشة هذه الأصول، لكن الانتقائية من أفكار المعتزلة مع عدم التسليم لهم بالمقدمات والنتائج اللازمة تناقض صريح.

هذا ما تيسر في ختام هذه الدورة التأصيلية في أصول المعتزلة، والله أسأل لي ولكم العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يُثبتنا علىٰ الإسلام والسنة.

وصلَّ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

ثم أشكركم علىٰ الحضور، كما أشكر إدارة الشؤون الفنية علىٰ استضافتهم لي، فجزاهم الله خيرًا.